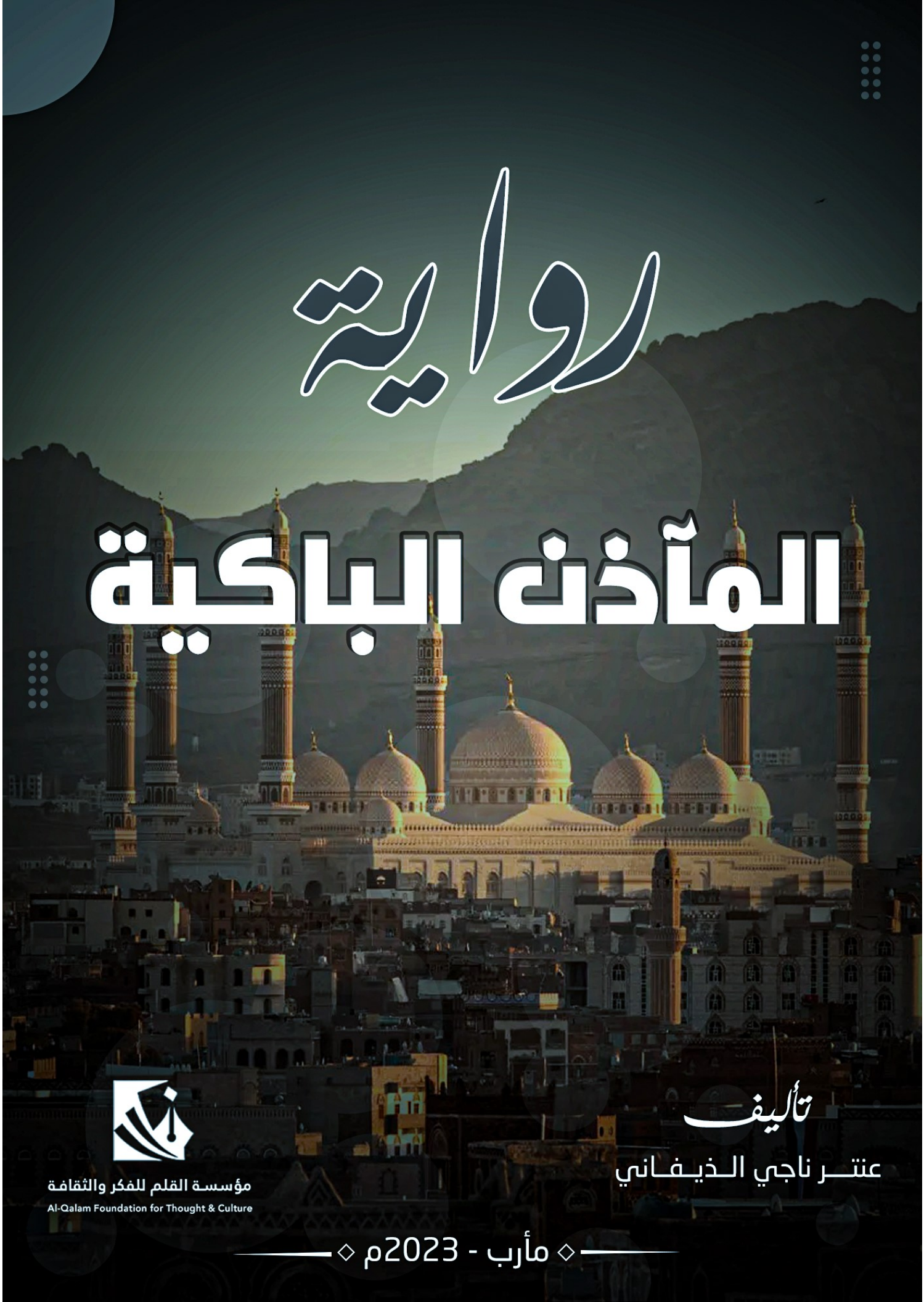

رواية

المآذن الباكية

تأليف

عنتـــر ناجي الـذيـفـاني

مؤسسة القلم للفكر والثقافة
Al-Qalam Foundation for Thought & Culture

◇ مأرب - 2023م ◇

رواية

المآذن الباكية

عنتر ناجي الذيفاني

مؤسسة القلم للفكر والثقافة
مأرب- 2023م

مؤسسة القلم للفكر والثقافة
AL-Qalam Foundation for Thought & Culture

الجمهورية اليمنية - مأرب - شارع الأربعين

تصريح رقم (447)

جوال/ واتس (00967 772949810)

Email: info@qdf-ye.org

رقم الحساب في بنك اليمن البحرين الشامل (1900126)

نبذة عن المؤسسة: مؤسسة القلم للفكر والثقافة، مؤسسة أهلية غير حكومية من مؤسسات المجتمع المدني .. مقرها حالياً مأرب، يشمل نطاق عملها كافة محافظات الجمهورية، ويتركز نشاطها على الجانب الفكري والثقافي، أنشئت بموجب أحكام قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية رقم (1) للعام 2001م وتحت رقم (447)، أسسها مجموعة من الأكاديميين وذوي الخبرة والاختصاص، لتكون واحدة من أهم مصادر الفكر والثقافة والحفاظ على الهوية الوطنية ومصدر من مصادر تنوير مجتمع متعاون متآلف بعيداً عن الغلو والتشدد والطائفية والعنصرية.

رؤيتنا: الريادة في نشر الفكر المعتدل وتعزيز القيم الإسلامية والوطنية على مستوى اليمن، والحفاظ على الموروث والتراث الثقافي الوطني.

رسالتنا: تسعى مؤسسة القلم للفكر والثقافة لتحقيق التنمية المستدامة وتنمية الوعي المجتمعي وترسيخ الهوية الوطنية والمساهمة في الحفاظ على الموروث والتراث الثقافي الوطني، من خلال تنسيق الجهود والشراكة مع الجانب الحكومي والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني والمجتمعات المحلية.

أهداف المؤسسة:

1) الحفاظ على الهوية الوطنية وتعزيز القيم النبيلة للمجتمع اليمني.
2) المساهمة في الحفاظ على الموروث والتراث الثقافي الوطني.
3) مواجهة أفكار الكراهية والتمييز العنصر ونشر قيم العدالة والمساواة في المجتمع اليمني.
4) الإسهام في تطوير التعليم وتجويد مخرجاته.
5) تشجيع الدراسات والبحوث والتدريب على المهارات في شتى مجالات الحياة.
6) تشجيع ورعاية الموهوبين والمتفوقين في الجانب الفكري والثقافي.
7) تعزيز دور المرأة في المجتمع وتشجيع تعليم الفتاة.
8) تشجيع المبادرات الطوعية في مجال التعليم والثقافة والتوعية بالقيم النبيلة.

للمزيد من المعلومات حول المؤسسة يمكنكم زيارة موقعنا على الانترنت www.qdf-ye.org أو التواصل معنا عبر بريد المؤسسة info@qdf-ye.org
أو متابعتنا على مواقع التواصل الاجتماعي

مؤسسة القلم للفكر والثقافة

@alqalamdf

مؤسسة القلم التنموية

@alqalamdf

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من تعاون في إنجاز هذه الرواية، من شخصيات حقوقية وفنيين، وشعراء ونقاد، وأخص بالشكر الدكتورة خديجة المفنخ أستاذ الأدب والنقد بجامعة إقليم سبأ، بما بذلت من جهد في المراجعة والتدقيق للرواية، لهم جميعا شكري وفائق احترامي

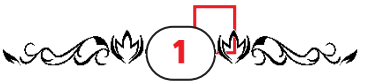

صنعاء هي صورة مصغرة لليمن الكبير، إن مرضت فكل اليمن يمرض، وإن تعافت فالكل معافى، صنعاء الفن والجمال المفعمة بالحيوية والعاشقة للحياة، تعيش ما بعد عام 2014 أعظم نكبة في تاريخها الطويل، انقلاب يستهدف تغيير واقعها بواقع آخر، الجمهورية بالإمامة، والعلم بالجهل، والصحة بالمرض، والتنمية بالفقر والتخلف.

مآذنها القديمة التي تبكيها اليوم، هي الشاهد والراوي لتاريخ مدينة عاشت عهوداً من الحياة، وعهوداً من الموت والتخلف.

هي لا تنسى مآسيها مع فلول الكهنوت، فما إن تداهمها فلولهم، إلا وتحل بها المأساة، تتذكر صنعاء يوم أن دخلها الطاغية يحيى حميد الدين عنوة، بعد حصار دام لستة أشهر في العام 1902م، ارغم أهلها أن يأكلوا الحمير والكلاب والقطط من شدة الجوع، ها هي بعد أن عاشت أفياء الجمهورية، يعود لها ذلك العهد بصورة لا تقل بشاعة عن سابقه، بل قد تكون هي الصورة الابشع.

لقد حكم الحوثي عليها بالموت البطيء وهو أخطر أنواع الموت،

إذ تموت المدينة ببطء ويموت معها كل شـــــيء، حتى الاخلاق والقيم تموت، وتتولد قيم واخلاقيات أخرى غريبة عن المجتمع، وتطمس هوية وتظهر هوية أخرى لا يعرفها الإنسان اليمني.

بيد أن صـنعاء واليمن عموماً سـتقول كلمتها يوماً ما، فمن خلفها تهب رياح تاريخ عـــريق ممتد بعظمته قروناً من الزمن، هيهات للحوثي ومن يقف وراءه أن يختزل هذا التاريخ، أو أن يكون بمقدوره أن يبتلع حضارة شعب يضـــرب بعظمته في أعماق الزمان.

لن ترحل اشراقتها الجميلة، ولن يرحل شعاع شمسها الذهبي، الذي يعانق سفوحها وقصورها ومآذنها، في لحظة عشق كوني بديع، لن تغادرها بلابل المدينة، وستظل تشـدو بألحانها عند الصـباح، وســيبقى حنين هديلها عند المغيب، نعم تضـــيق صنعاء بوجود الطارئين عليها البعيدين عن هويتها، لكن في النهاية ســـــينتهون وتبقى صنعاء وتبقى اليمن.

هذه هي صـنعاء قد تكبو، لكن عوَّدتنا عبر القرون، أنها مهما تكالبت عليها المصائب فإنها تنهض بعد كبوة.

فبعد ليلة كئيبة حالكة السـواد من لياليها الموحشـة في زمن الانقلاب، أشـــــرقت الارض بيوم جديد، وعبر زجاج نافذتي في

الدور الرابع في العمارة التي اسكنها، ألقيت على صنعاء نظرة عميقة متأملة، وأنا أحدث نفسي، الله أعلم يا صنعاء كيف سيكون حالك مع هذه المليشيات العابثة، التي تعبث بجمالك وتعبث بكل شيء فيك؟ حتى الإنسان تعبث به، دون أن ترى له قيمة أو وزناً أو تراعي له حقاً من كرامة، وجاء على لساني، ما قاله الشاعر البردوني عن صنعاء:

(ماذا أحدث عن صنعاء يا أبتي؟ حسناء، عاشقاها السل والجربُ). الجمال يتجلى في وجه صنعاء عند الشروق، يبدو جميلاً كوجه رحاب، رحاب التي يذكرني بها كل شيء جميل في هذا العالم، سنتين ولم يفارقني طيف خيالها للحظة.

آه يا رحاب، يوم مشئوم، ذلك اليوم الذي فقدتك فيه، يوم أتاني خبر تعرضك لذلك الحادث المؤلم الذي أودى بحياتك، آه ما أشد ألم الفراق!

دخلت عليّ أمي وانا أمسح دمعتين تدحرجتا من عينيَ، وهي تعرف أنني لا أبكي إلا حين أتذكر رحابا، قدمت لي الفطور والقهوة وهي تقول:

أعلم يا بني بألم الفراق فقد جربته قبلك، حينما فقدت أباك، أسأل الله أن يرحمهما جميعا، وأن يعوضك الله بامرأة تقر بها عينيك.

احتســـــيت كوباً من القهوة وتناولت فطوري، وتجهزت للخروج، ومن ثَم الذهاب إلى المستشفى العام التي أعمل فيها طبيبا، أختي سلمى أيضا تعمل في مختبر المستشفى قد سبقتني، كما أخبرتني بذلك أمي.

وصلت المستشفى، أرى الناس يتزاحمون وترتفع أصواتهم وهم يسيرون حول ناقلة دخلت من بوابة المستشفى.

ســألت حارس البوابة: ما الأمر؟ ما بال الناس يضــجون ويسيرون خلف الناقلة؟

أجاب الحارس وفي صوته ألم، والحزن مرتسم على وجهه:

هذه الناقلة وصــلت من توها الان، من إحدى جبهات القتال محملة بالجثث، وهؤلاء أقارب القتلى، جاءوا لاستلام جثث قتلاهم، توقفت الناقلة أمام ثلاجة الموتى، دفعني فضولي أن أذهب لأرى حال الجثث، وصــلت المكان، فكان المنظر مؤلماً وكارثياً، أي لعنة حلت بنا حتى نرى مثل هذه المناظر المقززة والمحزنة كل يوم؟ وأظنها في كل المناطق، فالقتلى في أغلب الأيام بالعشرات والجرحى بالمئات، وهذه الجماعة الدموية لا تبالي حتى لو قتل الملايين من اليمنيين، كما قال ذلك أحد قادتها، يســاعدهم على ذلك غباء بعضهم.

أشاهد أمامي أكواماً من الجثث المبعثرة، الكثير منها لا يستطيع أحد أن يميزها ويتعرف عليها، من أجل ماذا يذهبون ويقتلون؟

ما ذنب أهلنا في تعز أو مأرب أو البيضاء؟ حين يذهب هؤلاء من صعدة وعمران وحجة وذمار ليعتدوا على أهل تلك المحافظات وهم آمنون في بيوتهم وقراهم ويقاتلونهم تحت مبررات سخيفة!

صياح الناس يزداد وعويل النساء يرتفع، أحزنني بكاء امرأة وزوجها أرى الفقر ظاهر في شكلهما البائس وهما يبكيان ابنهم الوحيد الذي لم يعد إلا جثة مبعثرة، بعد أن غرروا به، صورتهما وهما يبكيان ولدهما الوحيد ظلت في مخيلتي لأيام، ونحيب أمه وهي تقول حملت بك يا ولدي في بطني وأرضعتك من لبني، وكل يوم وأنا أودعك إلى المدرسة أنظر إليك بانك أملي ومصدر سعادتي، ما قيمة الحياة بعدك يا بني؟ كيف ذهبوا بك إلى الموت؟ بكيت لحالهما الأليم، وهذا شخص ريفي آخر يتوعد مشرف القرية بالانتقام فهو من اختطف أبنه الصغير من جوار المدرسة وأغراه وذهب به إلى الجبهة فعاد مقتولا، إن برآءة الطفولة تظهر على وجهه، فعمره لا يتجاوز الاثني عشر ربيعاً، وهناك مجموعة ترفع أصواتها بالصرخة، وكأنهم في حفلة زار مغولية يرقصون على نار ودماء، يرفعون أيديهم وأصواتهم بصرخة الموت، إنهم يتوعدون

أمريكا وإسرائيل، وكأن هذه الجثث جيء بها من معركة كانت مع المارينز الأمريكي وجيش الصهاينة.

وهناك مراسل إحدى القنوات التابعة للجماعة، يتسلل في أوساط الناس كشيطان، ترافقه إحدى الزينبيات كما يبدو، إنه يسأل أحدهم بعد أن أنهوا صرختهم، يقول له:

ما هي الرسالة التي تريد توجيهها للذين يتخلفون عن جبهات العزة والكرامة؟ كما يسميها.

فأجاب وآثار الشمة بين شدقيه، نحن فداء السيد العلم ابن رسول الله، أنا قدمت أبني شهيداً ومستعد أن أقدم الثاني والثالث وأقدم نفسي فداء للسيد والمسيرة وأدعو الناس المتخلفين أن يلتحقوا بالجبهات، المصور يعطي إشارة لتلك المرأة التي ترافق المراسل، فأرسلت زغرودة بصوت عال، سمعها من بجوار المستشفى، يبدو أنها مجهزة ومدربة أن تقوم بذلك الدور في هذا الموقف، إنه مشهد تمثيلي صارخ، بعيد عن كل المشاعر الإنسانية، إنها زغاريد بلون الدم.

أُصبت بالذهول وأنا أنظر إلى هذه المشاهد، صوت يرتفع في الجهة الأخرى من الناقلة، ذهبت لأنظر ما الأمر فإذا بأحد المشرفين ومعه اثنان من المسلحين يأخذون بذراع ذلك الشخص

الذي يتوعد مشـرف القرية بالانتقام، وهم يحشـرونه داخل إحدى السـيارات المموهة وذهبوا به إلى جهة مجهولة وهو يبكي فقده لطفله الصغير.

دخلت إلى عيادتي وأنا أحدث نفسي:

أي نكبة حلت بهذا الشـعب؟ وأي جهل قد خيم على عقول البعض حتى يذهبون إلى الموت مع هذه الجماعة، وينخدعون بشعار الصـرخة الكاذب؟ لا يوجد على وجه الأرض أكذب من شعار الموت لأمريكا، الموت لإسـرائيل، في الوقت الذي لا نرى الموت إلا من نصيب اليمنيين، وهاهم أنفسهم يحرسون السفارة الأمريكية ليل نهار، مع أن الحقيقة التي قد تغيب عن كثير من أبناء الشـعب، هي أن أمريكا لولاها حافظت على بقاء هذه الجماعة، لما كان لها وجود بعد حرب صعدة الأولى والثانية.

ما أرخص دماء اليمنيين لدى جماعة ذاقت طعم الدم منذ زمن بعيد! ولا يمكن لأرواحها الشـريرة أن تحيا بدون حرب ودماء، إنها مشروع موت ودمار، لا شأن لها بالحياة.

مع جهل البعض بحقيقة هذه الجماعة الإرهابية سيموت الكثير من الناس، حسبي الله ونعم الوكيل، لك الله يا شعب اليمن.

جلست على كرسـي مكتبي وأمرت الممرضة أن تأذن بدخول

أول مريض، لكن فجأة وكعادته، مشـــرف المستشفى (**أبو حرب**) المعين من قبل جماعة الحوثي، يدخل بدون أذن، غير مكترث إن كان على ســـــرير المعاينة رجلا أو امرأة، هو لا يفهم شيء في الإشـــراف أو الإدارة، ولم يلتحق من قبل بمؤسسات التعليم عدى الصفوف الأولى.

-نعم ما الأمر؟! تدخل وكأنك تهاجم في معـــــركة، هذه غرفة معاينة.

أجاب في كبر وصـــلف والقات يتناثر من فمه، فهو يتعاطى القات حتى أوقات الصباح، أجاب بقوله:

-نحن ندخل متى نريد وكيفما نريد، جئت أبلغك أن رســوم المعاينة للمرضى تم رفعها 50٪، وحذارِ المخالفة.

-أنتم لا تجيدون شيء ســوى إرهاق المواطنين بزيادة الرســوم، حتى المرضى لم يسلموا منكم.

-أنت لا شأن لك بهذا، عليك أن تعاين وتعالج فقط، ولا تنسى أننا في عدوان وعلى المرضى كذلك أن يدفعوا ويشاركوا في الجهاد.

-تحت ذريعة العدوان أفقرتم الشــعب وأنتم تشــترون البيوت وتمتلكون الأراضي في كل مكان.

أخرج سيجارة من جيبه وقام بإشعالها في فمه، وأخذ ينفث دخانها في حنق ويقول:

-حذارِ أنت طابور خامس، ولا شك أنك تعمل مع الدواعش، أحذرك من أي تحريض يا دكتور ضياء.

-من قال كلمة الحق في وجوهكم تتهمونه بهذه التهم.

-أي حق، نحن الحق، وأنا أُذكرك دائماً وكل يوم، أنت وزملاءك الأطباء أن تلزموا حدودكم وتعرفوا مع من تتحدثون، أنا هنا مشرف المستشفى مُعين من سيدي ومولاي العلم عبدالملك الحوثي، وكلمتي هي التي تمضي، واعرفوا بقدركم وقدرنا، نحن آل بيت النبوة وذرية الأئمة الاطهار، نسيتم أن في رقابكم لنا طاعة، وأن الولاية خصنا بها الله، وأن الله فضلنا على جميع خلقه، ولو أنك تفهم الدين لعلمت ان نفسك ومالك يا دكتور ضياء ملك للسيد عبد الملك، فهو أحق بها وأولى بها من نفسك، رغم أنكم أطباء لكنكم تجهلون الدين، الدين الذي يجب أن تأخذوه من أعلام الهدى وقرناء القرآن دون غيرهم، ولا تنس يا ضياء أنك شافعي من تعز، يعني وبالمختصر أنت عدو مثل أباءك وأجدادك، إذا لم تنطلقوا مع المسيرة وتؤمنوا بها، فإن عاقبتكم وخيمة.

- انهى كلامه السخيف وخرج، كل يوم وهو يكرر هذه

الخرافات وهذا الكلام العنصـــــري السـخيف، يكرره علي وعلى غيري، يعتقـدون غبـار التـاريخ أنهم بخرافـة الولايـة وخرافـة الاصطفاء الكاذبة أنهم سيتسيدون على هذا الشعب من جديد لقد داس عليهم الشعب في ثورة سبتمبر عام 1962م، وســـيقتلعهم اليوم من جديد إنما هي مرحلة ابتلاء ستنجلي ـبإذن اللهـ.

اسمعه يتحدث وبصوت مرتفع للمرضى وبكل وقاحة يقول:

-لو أنكم تستمعون لســيدي عبد الملك ما أصابتكم الأمراض وإن أصـابكم شـــي فاذهبوا لمعالجته عند أعلام الهدى من السـادة الأعلام فحروزَهم وتمائمهم فيها الشفاء خيرٌ لكم من هذه الأدوية، افعلوا كما فعل آباؤكم وأجدادكم.

-لقد ذكرني كلام هذا الوقح ما كان يمارسه أجداده المشعوذون من خلال كتب الدجل والشـعوذة، حتى الإمام يحيى حميد **الدين نفســه، كان يتزاحم الناس أمام بيته ليكتب لمرضــاهم الحروز والتمائم، ويأخذ عليها أجرة، في الوقت الذي كان له ولأســـرته وحاشيته طبيب يعالجهم إذا مرضوا.**

عاينت جميع المرضى مثل كل يوم، ثم عدت إلى البيت حزينا على حالهم ونظراتهم التي تستدعي الشـفقة، فالكثير منهم لا يمتلكون **قيمـة المعـاينـة ولا قيمـة العلاج فيلجئون إلى شـــــراء**

المهدئات أو العلاج الأرخص ثمنا.

العمل في المستشفى عمل مرهق، لكن لابأس فعلينا واجب كبير، هو التخفيف من آلام الناس، لكن ما يزعجنا هو هذا المشرف الوقح الذي يدس أنفه في كل شي.

سيعاني الشعب كثيرا، إن لم يتدارك نفسه، فهذه جماعة عسكرية لا ترحم، لا تجيد إلا صناعة الموت والدمار.

صحوت من نومي، وصليت العصر، واتجهت إلى مستوصفي الخاص، الذي يقع في الحي نفسه الذي أسكن فيه.

سلمى أختي تسبقني كل يوم، فهي تعمل معي في المختبر، حالنا أفضل من غيرنا بكثير ولله الحمد.

دخلت الغرفة الخاصة بالمعاينة وأخذت كتابا أقرأ فيه، وما هي إلا للحظة حتى سمعت أصواتاً يبدو إنها لنساء وصوتاً ينادي لسلمى، خرجت سلمى تنظر ما الأمر.

-كيف حالك يا سلمى؟

- من؟ أمل! نعم إنك أمل، صديقتي كيف حالك ما بكِ؟ يبدو عليك التعب وأراكِ مرهقة.

-نعم جئت أنا وأمي فأنا أشكو من ألم في الرأس والبطن.

-أهلا وسهلا تفضلي، استأذنت من الدكتور ضـــياء كي تدخل أمل وأمها ليعاين حالتها، تفضــلي الطبيب جاهز، هو أخي لا تقلقي.

-دخلت المريضة أمل وأمها ومعهما سلمى.

-هذه صــديقتي أمل كنا ندرس ســويا، لكنها انقطعت عن الدراسة منذ سنين ولم أعد أراها إلا في بعض مناسبات الأعـراس.

-تفضلي بالجلوس على الكرسي يا أمل.

-أمل ممَّ تشكين؟ وأنا أرى بريق عينيها المحرجتين يخترق الخمار الأســود الشــفاف، تنظر إلى أمها، فقالت لها أمها، هذا الطبيب لا داعي للخجل واشرحي له ما بكِ من وجع.

أخذت نفس عميق، وتأوهت، مما يوحي بألم تعاني منه طويلا:

-أشــتكي يا دكتور من ألم في الرأس وفي البطن يداهماني دائما ويبقى الألم لأيام.

-لا تقلقي، وأرفعي الخمار، وضعت مقياس الحرارة بين شفتيها وقلت لامها ساعديني لكي أفحص نبضات القلب بالمسماع.

لقد فاجأني شــعور غريب حين نظرت إلى وجهها، وأصــبت

بحالة من الارتباك الشـــديد، وحالة من الذهول، كل عضـــو في جسمي كاد أن يتوقف.

دعوت سلمى وطلبت منها أن تجري لها كشافة تلفزيون للبطن، فسلمى تجيد عمل الكشف من هذا النوع، وأيضاً تأخذ منها بعض الفحوصات المحددة في ورقة الفحوصات.

رأتني سلمى وأنا في حالة من الشـــرود، وشاهدت بوضوح الارتباك على وجهي.

ناولتني صورة الأشعة، وهي تقول:

- خيراً يا ضياء مالي أراك شارداً؟

-كتبت لها علاجات أولية وحقناً تعطى لها الآن، وطلبت من سلمى أن تأخذها من الصيدلية بدون مقابل.

- أخرجت الأم نقوداً من حقيبتها، لكن ســلمى رفضـــت أن تأخذ شيئاً من النقود.

أنهت سلمى عملها، وطلبت من أمل أن تعود غدا فالفحوصات ستتأخر إلى الليل، وتبادلتا ارقام التلفونات.

-خرجت أمل وأمها من المستوصف وودعتهما سلمى.

فقالت سلمى:

-ضـياء لاحظت عليك شـياً من الارتباك والشـرود ما الأمر؟ هل هناك شي مخيف لصديقتي أمل؟

-لا، لكنني شـاهدت فيها ما أذهلني، في اللحظة التي نظرت فيها إلى وجهها، سبحان الله!! لقد شاهدت فيها رحاب.

رحـاب بكـل تفـاصـيلهـا، عينيهـا الجميلتين، أنفهـا، وجههـا الوسـيم، كلامها الرقيق، كأن رحاباً هي من دخل عليّ، الم تلاحظي ذلك يا سلمى؟

-نعم نعم، إن الشـبه كبير بينها وبين رحاب رحمة الله عليها، إذاً هذا هو سبب ارتباكك وشـرودك؟

-نعم، لقد خفق قلبي بكل قوة وخنقتني العبرة لولا أني تمالكت نفسـي، لقد رأيت في عينيها رحابا، وكأنها جالسة أمامي تحدثني، شيء في داخلي جذبني إليها بقوة يا سلمى.

- ضـياء، يقولون إن الحب يقع من النظرة الأولى.

-خير خير أدخلي الحالة الجديدة.

❖ ❖ ❖

أمل تعـاني من سـوء المعـاملة من أبيهـا وإخوتهـا، وأمهـا تعـاني كذلك، وهذا ما عبرتا به عند العودة في حديثهما مع بعضهم بعضاً.

-إنهم طيبون يا أمي، لقد أكرمنا الدكتور ضـــياء تقديرا لأخته سلمى لمعرفة بيني وبينها **من قبل**.

-سعادة الأخت حين ترى من أخيها معاملة حسنة وراقية تليق بها، وتعاســتها حين ترى عكس ذلك، رحمة الأخ بأخته وحســن التعامل معها هي هداية من الله وتوفيق، فهن الرحم، وديننا أوصى بصلة الرحم، فلا يصلهن إلا تقي ولا يقطعهن إلا شقي، والرحم معلقة بالعرش من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

-لكن يا أمي هذه الرحمة وهذا الحب لا أجدهما في أبي ولا أخوتي، فأنا لا أجد منهم إلا القسوة والعنف.

آه، ما أشد ما ألقى وما أعاني منهم، نحن نعيش في غابة يا أمي.

-لقد توارثوا هذه القســوة على بناتهم وزوجاتهم من آبائهم وأجدادهم فهم قســاة القلوب بطبعهم، طباعهم غريبة عن هذا الشعب الذي يحترم المرأة ويجلها، الكبر والاستعلاء والعناد والظلم والقسوة هي طباع متأصلة فيهم.

❖ ❖ ❖

عدت إلى البيت، وتناولت طعام العشــاء، ودخلت غرفتي خلعت ملابســـــي واستلقيت على الفراش كان عقلي مشغولاً بالتفكير في أمل وأحس مع هذا التفكير براحة نفســـــيه تنتابني وكأنني أعرفها من زمن بعيد، كأن روح رحاب متجسدة فيها، لقد

رأيت فيها رحابا، رأيتها حقيقة ماثلة أمامي، وهذا سـر انجذابي لها بهذه السـرعة ومن النظرة الأولى، لعل الله قد ساقها إلي، فأنا دائما أدعوه أن يعوضـني بزوجة كرحاب، إن قلبي يقول لي أنها تشـبهها في كل شـي.

متى يأتي غداً لأراها من جديد، يبدو أنني لن أنام هذه الليلة.

فتحت نافذة الغرفة، الليل في صنعاء يحمل اسـراراً مهولة، لقد أرخى سدوله ونام الجميع، وصمت صنعاء الرهيب يدل على أنها ليست بخير، فقد لفها صمت لا حياة فيه، وليل أسود ثقيل وشديد الوطأة على نفوس الرجال الشـرفاء، لقد سكنها البؤس والبكاء والحزن، تحول وجهها المشـرق إلى وجه كئيب، حتى المآذن، تبكي فراق من تحب، يغشـى المدينة الليل فتجتاح القلوب الهموم والأحزان، كثير من سكانها ينامون مبكراً، لا تجد في الشارع غالباً إلا كلاباً تعوي، أو أطقماً تتحرك بالمسلحين، منها من يداهم بيوت المعارضـين لأفكار ومعتقدات الحوثيين والبعض منها يتحرك في الشوارع كدوريات.

الناس يرفضون من داخلهم هذا الوضع المهين، فلا مرتبات، ولا أعمال، وصعوبة في الحصول على أنبوبة الغاز المنزلي، أو دبة بترول، وإن حصل عليها أحدهم فبسعر السوق السوداء التي يتحكم بها الحوثيون، الناس تعيش في ضيق وقهر شديدين، وحيرة وتيه تجدهما مرتسمين على وجوه الكثير، وغدا الناس يتطلعون

لمنقذ يعيد لهم الأمل والثقة بأنفسهم، لكنني على يقين أن هذا الليل لن يطول، **فأملنا في الله ثم في الشرفاء كبير**.

صباح الخير يا سلمى وانتِ عدتِ أيضا؟

– المشـــرف أبو حرب كثور هائج، يمنع الأطباء والعاملين من دخول المستشفى وأمر الجميع بالعودة للبيوت، لا ندري ما الأمر! حتى حراسة البوابة تم تغييرهم بحراسة من مسلحيهم، وجلبوا معهم أطقماً كثيرة عليها مسلحون.

هناك مرضى مرقدون داخل المســتشــفى ويحتاجون إلى متابعة حالتهم من قبل الأطباء، وأطفال كثر في الحضانات لا ندري كيف ســـيكون مصيرهم، **لقد منعوا الجميع، لا أدري ما السبب، هل لديك علم يا ضـــياء ما سبب التواجد العسكري ومنعهم للعاملين من دخول المستشفى؟**

– أعلم فقد اتصـــل لي أحدهم وأخبرني أن قيادة الجماعة لديها اجتماع عسكري بقاعة المستشفى، لقد تحول المستشفى إلى ثكنة عسكريه ولا أستبعد أن يحولوا البدروم إلى مخزن لبعض الأسلحة، سمعت المشرف أبا حرب يذكر هذا الامر دائما، الجماعات المسلحة لا تفرق بين ما هو مدني وعسكري، كل شـــــيء يوظف لخدمة مشـــروعها العسكري والقتالي ولو على حساب حياة الناس وحياة

المرضى، فكما حولت المدارس إلى سجون وثكنات عسكرية ستحول المستشفيات أيضا، حياتنا مع هذه الجماعة جحيم لا يطاق.

-إذا هي فرصة يا أخي فسوف اذهب لزيارة بعض زميلاتي في سكن الطالبات في جامعة صنعاء، فأنا مشتاقة لرؤيتهن.

لا عليك أذهبي، وأنا سأواصل النوم، فأنا لم أنم في الليلة الماضية إلا متأخراً.

- أهاه، أعلم ما الذي شغلك ولم يجعلك تنام، كنت تفكر في أمل.

-نعم يا سلمى، لقد شغلت تفكيري.

-ستأتي اليوم حسب الموعد لأخذ الفحوصات، سأعود سريعاً من الجامعة، أستأذنك يا ضياء.

-لا عليك،

ذهبت سلمى إلى الجامعة، ثم عادت لتروي لنا ما حدث، قالت:

-أوقفت سيارة الأجرة ونزلت منها بالقرب من بوابة جامعة صنعاء، أرى طلاباً وطالبات يُمنعون من دخول الجامعة، أصوات الطلاب جميعاً ترتفع ويرددون شعارات ضد جماعة الحوثي وسياسة التجويع التي تنتهجها، وأصوات ترتفع بشعارات ضد

عسكرة التعليم الجامعي وتحويل جامعة صنعاء إلى ثكنة عسكرية، الكل يهتف (بالروح بالدم نفديك يا يمن).

إنني اسمع هذه الأيام عن ثورة جياع ستندلع، فالشعب لم يعد يحتمل هذه السياسة التي زادته فقراً وجوعاً، نتمنى أن يتجاوب كل الشعب مع هذه الدعوة وهذه الأصوات، ويخرج الجميع فالكل جائع، ونهب الحوثيون للناس يزداد باستمرار.

الطلاب يحاولون الدخول إلى الجامعة لنصرة زملائهم وزميلاتهم الذين في الداخل، فقد بدأوا بتحريك مسيرة احتجاجية من داخل الجامعة، لكن إلى أين يذهبون؟

وعشرات الأطقم المسلحة تدخل الآن حرم الجامعة دون أن يُسمح لأحد من الطلاب بالدخول، أرى أحد المسلحين يخاطب مجموعة من الطلاب اقتربت أكثر لأسمع ما يقول لهم:

- أين تريدون أن تذهبوا؟

-نريد أن ندخل لنتعلم.

-ماذا تتعلمون؟

-نتعلم طب، هندسة، شريعة وقانون، تجارة، ... الخ.

-لا حاجة لنا بهذا العلم، فسيدي حسين الحوثي، قد كتب لنا سبع ملازم شملت العلم كله، أما علمكم هذا فبسببه خربت

البلاد، يكفي أن تتعلموا السبع الملازم ففيها علم كل شـيء، وبدلاً من أن تضـــــيعوا أوقاتكم في هذه الجامعة عليكم أن تذهبوا للجبهات تقاتلون حتى نسـتعيد القدس، ونقضـــــي على امريكا وإسـرائيل.

-أحد الطلاب يقول:

وأين القدس بنظرك؟

-القدس طريقها من تعز، ومن مأرب.

-هو مسـلح لا يتجاوز 18 عاما يحمل بندقية آلي وجعبة بها خزنات مليئة بالرصـاص ويرتدي ملابس رثة، لم يتعلم إلا كيف يقتل.

نسـمع إطلاق نار داخل حرم الجامعة وأنباء عن اعتقالات جماعية لطلاب وطالبات

الطلاب يرددون الشـعارات بقوة، وطالبات يحاولن الدخول من البوابة بالقوة، والزينبيات يستخدمن ضدهن العنف وبأيديهن عصي كهربائية.

تعزيزات تصـل تباعاً بمسـلحين ومسـلحات على أطقم تطوق المكان واسـتخدام للهراوات لفض التجمعات الطلابية من أمام بوابة الجامعة، وإطلاق نار كثيف بغرض تفريق وإرهاب

المتظاهرين، أصـوات الطلاب ترتفع، هناك إصـابات في صـفوف الطلاب بعضهم إصابته خطيرة.

أشـاهد ألان أطقم تخرج من الجامعة وعليها طلاب وطالبات بالعشرات قد تم اعتقالهم لا أدري إلى أين يتجهون بهم، كما أشاهد اختطافاً لطالبتين وثلاثة طلاب من أمام البوابة، لم نعلم باختطافات للنسـاء اليمنيات ولم نرَ من قبل طالبات يمنيات على ظهور الأطقم إلا في زمن الحوثيين، أإلى هذا الحد وصـلت بهم الحقارة والنذالة والحقد؟

قلت في نفسي:

-ما اشد خوف الحوثيين، فالتجمعات تخيفهم، صوت الشعب في الشارع يرعبهم.

صدق الثائر الزبيري حين قال:

إن الصوص وإن كانوا جبابرة لهم قلوب من الأطفال تنهزم

آه يا صـنعاء! متى تغضـبين وتسـحقين هذه العصـابة السـلالية الحاقدة، متى تثورين ضد هذا الظلم؟! وتذكرت ابياتاً للبردوني:

صنعاء يا أخت القبور ثوري فإنكِ لم تثوري

وأردد قوله:

يا سام قم لترى صنعاء منهكة

طغى عليها الفتى الملعون والعلــلُ

تـدور حـول مفاهيم مـزيـفـة

كمـا تـدور علـى العصَّـارة الإبــلُ

يا سام قم لترى صنعاء موجعة

تبدي الدموع وتبدي صمتها الدولُ

يا سام قم لترى صنعاء إن بها

قـومـاً يـزيــدون جـوعاً كلمـا أكلوا

ستمطر الارض يوماً رغم شحتها

ومــن بطـون المآسي يولـد الأمـلُ

لم أستطع الالتقاء بزميلاتي ولا الاتصال بهن، فالاتصالات تم قطعها منذ ساعة خوفاً من توسع المظاهرات.

عدت إلى البيت بعد يوم حافل بالأحداث، الصــباح تم إغلاق المسـتشـفى ولا ندري كيف حال المرضى بداخله، وبعد سـاعة يتم إغلاق الجامعة أمام الطلاب، ولا ندري إلى أي جحيم تسـوقنا هذا الجماعة.

-الحمد لله على سلامتك يا سلمى.

-قمت أتصفح المواقع الإخبارية، كلها تضج بإرهاب الحوثيين ضد الطلاب والطالبات، ســيتولد الغضب ويتنامى يوما بعد يوم وستنتصـــر في النهاية إرادة الشعب الصابر. الشعب هو صاحب

الكلمة الأخيرة، ما تريده هذه الجماعة هو ترويض هذا الشعب وتركيعه واستعباده من خلال سياسة الفقر والتجويع، هم يطمعون أن تبقى اليمن تابعة لإيران الفارسية، وهذا هو ما تخطط له ايران وتسعى له.

إنها تسعى بواسطة هذه الجماعة لتغيير هويتنا اليمنية، كأصل للهوية العربية، إلى هوية فارسية تحت غطاء ما تسميها بالهوية الإيمانية الخمينية، وتأثير دوراتهم الثقافية ونشر التشيع في البلاد، نعم يا سلمى، إنهم يريدون أن تستبدل المساجد بالحسينيات والنشيد الوطني بالصرخة وإعلان الولاء لهذه السلالة الكهنوتية التي تدعي كذباً أن لها حق الطاعة والحكم كحق وهبها الله إياه، وهذا لن يكون مهما كلف هذا الشعب من تضحيات، وما هذه المظاهرات الطلابية والاحتجاجات إلا بداية لثورة تجتث هذه السلالة ومن يقف وراءها.

وصلت أمل وأمها حسب الموعد، أنا في انتظارهما بشوق.

– اهلا أمل، أهلا أم أمل، كيف حالكما وكيف صحتك يا أمل؟

– الحمد لله، شكراً لك يا دكتور لقد كان العلاج نافعاً فأنا أحسن بكثير، وهذه الفحوصات أخذتها الان من سلمى تفضل.

– لديك التهابات في الدم، وحصوة في الكلى.

– هل أنتِ متزوجة.

– مات زوجي منذ سنة ونصف.

– أنتِ تحتاجين لعلاج يزيل هذه الحصوة، فإن لم ينفع العلاج فسوف نضطر للتدخل الجراحي لإزالتها.

– أريدكما أن لا تقلقا أبداً، إن شاء الله ستكون بخير وعافيه، ثم لا تعملا حساب لأي تكاليف، فصديقة أختي (وأنا انظر إلى أمل) سأعالجها حتى تشفى وبدون مقابل، **إنها اختي الثانية**.

– أحرجتنا يا دكتور بكرمك، الحمد لله لدينا فلوس وسوف أكلم أباها وهو لن يقصر.

– وأنا قررت لن تدفعوا شيء.

– سـأكتب لها علاجاً تسـتخدمه لمدة شـهر، وعليها العودة كل أسبوع لأتابع حالتها.

– شكرا يا دكتور وفقك الله وبارك الله فيك.

سلمى تنادي أمل:

أمل نريد أن نجلس سـويا يوم الجمعة القادمة إن شـاء الله، ما رأيك نزور اسـتاذتنا عزيزة فلها حق علينا، ألم تكن أسـتاذتنا في المدرسة؟

– نعم سمعت انها تتعرض لمضايقات من الحوثيين.

– نعم بسبب تدريسها للقرآن الكريم، وزوجها مازال مختطفاً في سـجون الحوثيين منذ سـنتين، فقد كان خطيباً لجامع الحارة القريبة من منزلكم.

– اعلم ذلك، إذا نزورها ونجلس سويا يوم الجمعة، أنا اعـرف منزلها، أراك على خير، في أمان الله.

❖ ❖ ❖

خرجتا من المستوصف بانطباع جيد، لكن هناك أشـياء كثيرة تعتمل في نفس أمل، معاملة الآخرين وإهمالهم لها، وقسـوة الأب والأخوة، يجعلها تعاني الحرمان من العطف والحب، وعنصـرية تلاحظها في تعاملهم مع أمها، لا يوجد أحد تشكو له

إلا أمها، التي تعاني نفس ما تعانيه، ودوري كطبيب هو مساعدة أمل والاستماع لمعاناتها وأن نشعرها بالعطف والأهمية، ما دار بينهما من حديث عند العودة إلى البيت يوضح ذلك:

– أمي هذه الدنيا مادام يوجد فيها من أمثال الدكتور ضياء فهي بخير،

هل رأيتِ وجهه يا أمي حين دخلنا عليه غرفة المعاينة، كيف كانت ابتسامته وكيف تهلل وجهه فرحاً بنا، لقد أحسست ببرودة في قلبي حين رأيته ينظر اليَّ، وكأن الذي قدم عليه عزيز وغال إلى قلبه، رأيت هذا في عينيه، مثل هؤلاء الناس يا أمي يعيشون في سعادة وستر، إلا نحن لماذا؟

– المعاصي يا ابنتي هي من يجعل بعضهم في تعاسة وبؤس، أبوك وإخوتك هم امتداد لسلالة جُبلت على الكبر والظلم، واستحقار الآخرين وادعائها للأفضلية، ففي الوقت الذي يكذبون على الناس وعلى أنفسهم بأنهم احفاد النبي، وأنهم أعلام الهدى، تجدينهم اكثر من يعصي الله ومن يظلم، ومن يأكل أموال الناس بالباطل، فكيف تريدين أن يكونوا في خير وفي توفيق وهم عصاة؟

انظري فقط إلى حالنا في البيت، كيف يمارسون العنصرية وكيف يتعامل ابوك معي بقسوة لا نني يمنية ولست من سلالته،

وكيف يتعامل مع خالتك الهاشـــمية، وكيف يتعامل معك، وكيف يتعامل مع بنات خالتك، هذا ونحن في بيت واحد، مذهبهم يا أمل يقوم على أســاس العنصـــــرية والاســتعلاء، لا وجود فيه للعدل والمســاوة، إنهم يحرمون على بناتهم ما أحله الله لهن، فحرام عليهن أن يتزوجن إذا تقدم لهن يمني من أبناء القبائل، هل تتذكرين بكاء أختك رشا!؟ حين تقدم لها الشاب صاحب البقالة المجاورة لمنزلنا، جاء يتقدم لها على كتاب الله وسنة نبيه، وهو الشاب صاحب الخلق والدين، والذي احبته اختك حباً شــديداً ورغبت فيه، لقد رأيتِ ماذا عمل به والدك، لولا أنه دافع عن نفســه وفر من داخل البيت، لكان ابوك قتله، بعد أن قال له كيف تتجرأ أيها القبيلي الوضــيع أن تتقدم لابنتي وهي الشـــــريفة الطاهرة، ثم قام بطرده وأجبره بعد ذلك على بيع بقالته وأن يخرج من الحارة.

– هل تعلمين يا أمي أن أختي رشــا اقســمت أن لا تتزوج أحداً ســواه، وقد قامت بإبلاغ أم ذلك الشــاب أنها ستنتظره، وهو مازال متمسكاً برشا وأقسم أن لا يتزوج غيرها حتى لو ظل دون زواج.

نحن يا أمي نحتاج لثورة داخل هذه الســلالة تنصــف المرأة الهاشمية وترفع عنها هذا الظلم.

ها نحن قد وصلنا يا أمي، سوف يقسو علينا أبي كعادته ويقول لماذا نخرج من البيت؟

إن أصعب ما تعانيه النفس، معاناة الأنسان من القسوة والإهمال التي يلقاها من أقرب الناس اليه، قد تهون معاناته حين تكون من البعيد! لكن ألمها شديد حين تكون من الأب والأخ، وقد تسهل معاناة الذكور، لكن أن تكون هذه القسوة وهذا الإهمال ضد فتاة فإن المعانة تكون مؤلمة، هذا ما تتعرض له أمل وأمها من أقرب الناس إليهما وهو المدعو هاشم المراني، صاحب الوجه المكفهر، والبطن المنتفخة المتدلية، والشارب الأحمر الكثيف، ذو العينان الزرقاء وتان الجاحظتان، والصوت الأجش، الكبر يفوح من انفه، من طباعه الغلظة والقسوة، يستعلي على الناس بهاشميته المزعومة، يطلقون عليه لقب السيد، فهو سلالي معتق، تقول أمل:

-دخلنا البيت وأبي يتمشى في الساحة، السلام عليك يا أبي.

- أين كنتما؟

- تراجعت خلف أمي وقلت لها أجيبِ عليه، فأجابته أمي قائلةً:

ذهبنا للمستوصف، فأمل مريضة، تعاني من أوجاع عدة.

– ليس بها شيء، إنما يعجبكما الخروج من البيت وزيارة الاطباء بلا سبب، ممنوع الخروج مرة أخرى دون علمي.

– أنت يا هاشم دائما لا تصدقنا، ابنتك مريضة بالفعل وقد تحتاج إلى عملية جراحية كما ذكر الطبيب.

–**خالتي** أم مرتضى، زوجته الهاشمية تقول:

أحياناً قد تكون الامراض عقاباً من الله، لمن يعاند المسيرة ولا يحب أن يستمع لمحاضرات السيد العلم، ولو أصلحت قلبها وانطلقت مع أولياء الله لما أصابها شيء، لكنها صعلوكة كأمها.

–دخل أبي المجلس، واقتربت أمي من خالتي وقالت لها بصوت خافت:

سنترك العلم واستماع المحاضرات لك يا شريفة، فنحن قبائل لا نفهم شيء، ولا شأن لنا بعلمكم هذا، أليس هذا هو منطقك دائما لي؟ أن القبيلي لا يجب أن يتعلم! ويتساوى مع سيده! فالسيد ومحاضراته تركناهم لك، ولبناتك، فأنتم بيت العلم، ثم أعلمي أنني لست أنا الصعلوكة ولا ابنتي أمل، انتِ تعلمين أيها الشريفة من هي الصعلوكة، أم تحبين أن أذكرك بسيرتك المليئة بالفضائح... قبل ان تنصحي غيرك، أنصحي نفسك، وانصحي أبنك مرتضى،

وابنك شرف، الذين يزكمون أنوفنا كل يوم بفضائحهم، يا صاحبة المسيرة القرآنية، والقرآن منكم براء.

- دخلت البيت، ومازالوا في الساحة، ولم أرد على خالتي بشيء، فقد تولت أمي الرد **عليها**.

-لحقت خالتي أبي إلى المجلس، وكنت أسمع صوتها، وهي تحرض أبي وتقول له:

-أما تسمع ما تقوله قليلة الأصل (تعني أمي)، إنها ترفع صوتها عليَّ، وتتجاهل قدري، ولا تتأدب معي، ودائما أبنتك تتهرب من حضور الدروس الثقافية في مركز أنصار الله، وتتعذر بالمرض، وأمها تشجعها على ذلك أليست أبنتك هاشمية مثلنا أم أنها تستمع لأمها قليلة الأصل، وفوق هذا تسب السيد العلم، وتسب المسيرة، إني أصبر على طيشها وطيش أبنتها دائما، فإما أن تختارني أو تختارهما.

خرج أبي من مجلسه، وفي يده عصى، وبكل قسوة وغلظه أنكب عليَّ وعلى أمي ضرباً، ونحن نستغيث به، كان يضربنا وهو يقول من يسب المسيرة وقائد المسيرة سيكون قتله على يديَّ، ولولا أختي رشا، أمسكت بالعصى، ومن ثم استطعنا الهروب إلى غرفة أمي وأغلقنا الباب وراءنا، ونحن نشكو إلى الله هذا الظلم، وهذه القسوة.

كنت أسمع صوت أبي من خلف الباب وهو يقول:

إني أتعجب من هذه البنت! كيف يقوى جسمها على تحمل الضرب دائما؟ هذه ليست ابنتي! وليست منا، لا يعجبها ما نقول ولا ما نفعل، من أي طينة هذه البنت؟ لا أدري!

إنها تتصرف في هذا البيت وكأنها إحدى طالبات جامعة الإيمان، عليها أن تعلم، أنني هاشم المراني، أحد قادة الجماعة، ولن أسمح بالوهابية في بيتي، لقد أخذت هذا الصفات من أخوالها القبائل أولئك الحمقى الذين تركوا أرضهم وبيوتهم والتحقوا بمن يقاتلنا في مأرب. لقد أخذت من صفاتهم، ولم تأخذ من صفاتنا شيء، والعجيب أنني أضربها ولسانها لا ينطق إلا بحسبي الله ونعم الوكيل، وكأنها هي التي على حق وأنا على باطل.

- خالتي أم مرتضى تصر على أبي بسرعة تزويجي.

فأجابها:

- لقد جاء ابن أخي ابو حرب لخطبتها، أتدرين ماذا كان ردها!؟

قالت لن تتزوج بابن الكاهن المشعوذ، من يكتب الاسحار ويضر بالناس! قلت لها لن تتزوجي غير أبن عمك، ومن أفضل

من أبي حرب مشـــــرف أكبر مستشفى في صنعاء، وأحد رجال مسيرتنا المباركة.

- بكيت أنا وأمي وأختي رشا، حتى أذان المغرب، صليت وأنا جالسة لم أستطع النهوض من ألم الضـــــرب، ثم استلقيت على ظهري، وذهبت بتفكري إلى بعيد، إنها سلسلة من الذكريات الأليمة، تجر معها سنوات من العناء والظلم.

تذكرت يوم أخذوني من الشارع، وأنا طفلة العب مع الاطفال، كان عمري حينها لم يتجاوز الاثني عشـــــر ربيعا، فأخذوني يومها وذهبوا بي إلى الكوافير، ليجهزوني للزواج من رجل يكبرني بعشـــر ســنين، لم يرحم أبي طفولتي التي حرمني منها، وأجبرني للانتقال لحياة لا أدري بشـــي عن تفاصيلها كزوجة، كنت أبكي بكاءً يقطع نياط القلب، وأنا أرى زوجي يقترب مني، لا أدري ماذا يريد مني! أنا أريد الشارع العب مع الاطفال، وهو يريدني في الفراش كزوجة، فررت ليلة الدخلة بعد أن ظن أنني في دورة المياه، هربت إلى أمي في جنح الليل، وصـلت عندها وقت الفجر، طرقت على أمي نافذة غرفتها، ففتحت لي وارتميت في حضنها وأنا أبكي وهي تبكي.

كان أبي يجبرني على العودة، لم أكف عن البكاء طوال تلك الايام، وكلما هربت إلى أمي، يأتي أبي يرجعني وانا مضـــــروبة، مرضـت

أربعة أشـــهر وبقيت عند أمي تمرضـــني، بعدها أرجعني أبي إلى زوجي، ساقهم تفكيرهم الإجرامي أن يستخدموا معي وأنا الطفلة حبوب النوم، نمت فجأة ونحن نتناول وجبة الغداء، وأنا معهم في بيت زوجي، رفعني زوجي في حضـــنه، وذهب بي إلى غرفة نومي، تم اغتصابي بلا رحمة وأنا انظر اليه، لكنني فاقدة للوعي، لا استطيع أن أعمل شيء وكأنني مشـــلولة، من بعدها لم أســـتطع أن أتحرك أو أقف على قدميَّ لمدة أسبوعين.

لم أتســـلم مهري، أبي أخذه ولم يترك لي منه شيء، كرهت زوجي بعد فعله المُشـــــين، وكرهت أبي على إجباره لي بالبقاء معه، وكان لخالتي دور في زواجي المبكر والتخلص مني، فهي لا تطيقني ولا تطيق أمي واخوتي الصغار، وتنظر لنا نظرة عنصـــرية حاقدة، لقد تضـــررت بسبب زواجي، وانا طفلة في تعليمي وصحتي، وتسبب لي أيضـــا في أوجاع كثيرة ما زال أثرها باق إلى الآن، عشـــت مع زوجي في عذاب، حتى توفاه الله بحادث عـــرضـــي، اسأل الله أن يعفو عنه وأن يغفر له، ومنذ ذلك اليوم قبل سنة ونصف السنة وأنا في بيت أبي هاشـــم المراني، أعاني الظلم والقســـوة ومن عدم الاهتمام والرعاية، واليوم أبي يريد أن يزوجني بأحد السفلة والمنحطين وهو المشـــــرف أبو حرب، لكن هذا لن يكون، ولن أعيش حياة الظلم

مرة أخرى، الموت أهون لي من أن أعيش حياة لا أريدها، سلمت أمري لله وحده وفوضته أمري، فهو من سيأخذ بحقي وحق أمي، التي لم يكن لها سلاحا إلا البكاء والدعاء.

-أذان العشاء، قطع عليَّ ذكرياتي المؤلمة، بينما كان الجميع يتناولون طعام العشاء، وأنا في غرفتي، كانت خالتي أم مرتضى- وقبل أن تنتقل إلى المجلس لتخزن القات مع والدي، تقول للجميع:

-غدا ستزورنا الاستاذة أم حسين مديرة المركز الثقافي التابع للزينبيات، وعليكن الاستعداد لاستقبالها والتواصل مع زميلاتكن، فسوف نفتح لها المجلس لتحيي ذكرى استشهاد قائد المسيرة سيدي حسين بدر الدين الحوثي.

أنا أعلم أن هناك من لا يروق له هذه الزيارة، لكن هذه ذكرى الشهيد المؤسس لا تقبل التأخر من أحد.

-في اليوم الثاني تجهز الجميع لاستقبال الضيفة الزائرة، دخلت المجلس والجميع رحب بها، وكنت من ضمن المرحبين، أخذت مكانها في المجلس وبجوارها مرافقتها إحدى الفتيات المسلحات، في يدها بندقية كلاشنكوف، رحبت بها خالتي أم مرتضى-، وقالت في تملق واضح، وتزلف رخيص:

-مرحبا بك يا سيدتي، نحن نتشرف بزيارتك أيتها المجاهدة العظيمة، فانتِ إحدى المجاهدات اللواتي كان لهن الدور الكبير في حروب صعدة، وكنتِ جنبا إلى جنب مع الشهيد القائد، ثم بعد ذلك مع اخيه القائد عبد الملك، ونحن نعاهدك أننا سنسير على خطى الشهيد مؤسس هذه المسيرة، فتفضلي بالحديث فكل المؤمنات أذان صاغية لما ستقولين.

- ثم تحدثت الضيفة حديثاً فيه تزييف للحقيقة، وبعيداً عن الواقع يطفح بالعنصرية المقيتة، وخلاصة ما ذكرته قولها:

الحمد لله الذي فضلنا على خلقه، وخصنا بالولاية على الناس إلى يوم القيامة، وجعل فوز الناس وفلاحهم باتباعنا وموالاتنا وطاعة سادتنا، إن الشهيد القائد سار في جهاده على نهج جده الحسين بن علي عليهم السلام شهيد كربلاء، الذي واجه يزيد، وها هو اليوم شهيدنا ومن بعده أخيه عبد الملك يواجهون أحفاد يزيد، من يوالون أمريكا وإسرائيل.

والواجب علينا اليوم كمؤمنات أن نقتدي بالحسين وأخته زينب سيدة المجاهدات، التي واجهت ظلم يزيد وبني أمية، ونحن الزينبيات علينا ان نواجه أحفاد يزيد، وأن ندفع بأزواجنا وأبنائنا إلى الجبهات لمواجهة الامريكيين والاسرائيليين والمرتزقة في مأرب

وتعز، الذين يريدون اغتصـــاب حقنا في الحكم، فالولاية حق من حقوقنا خصنا الله بها، ومن ينكر ذلك فهو يستحق القتل.

– ثم طلبت منا أن نكون من المجاهدات بأموالنا، وان نتبرع بما لدينا من أموال للمجاهدين، كما طلبت منا أن نحول المجلس إلى مجلس عزاء، إذ بدأت في ترتيل بعض أبيات تقال عند البكاء، وفق الطريقة الايرانية، تمظهرن بعض النســـاء والبنات بالبكاء والأنين، أما أنا فكنت أريد أن أضحك، لكن ضغطت على نفسـي وخرجت من المجلس، ودخلت غرفتي، لا ضــحك براحتي، ولحقتني أختي رشا، وضحكنا من هذه الحماقات والمنطق العنصـري المتخلف.

– أمل يا أختي يرتاح قلبي حينما أراك تضحكين.

– لا شـــي يضحكني ويبكيني يا رشا غير كلام هؤلاء الناس، أما سـمعتِ أم حســـين وهي تتحدث عن حرب جماعتها لأمريكا وإسـرائيل، أين هذه الحرب وأين قتلى أمريكا وإسـرائيل؟

أو حينما تتحدث عن أم المؤمنين عائشة رضـي الله عنها، تتحدث عنها وكأنها ليست زوج النبي وأم المؤمنين، يبدو أن أم حسـين ترى نفسها أطهر وأفضل منها!

ثم كيف تأمرنا أن نبكي على حســـين الحوثي وعلى الحســـين،

وهي تقول لمن يقتل ابنائهن وأزواجهن أن يفرحن، ويوزعن الحلوى! فإنهم يُزفون إلى الجنة، فلماذا البكاء على حسين الحوثي مادام هو في الجنة؟

ثم إذا كان الحسين قتله أصحاب يزيد في كربلاء، فكربلاء ليست مأرب وليست تعز! واليمنيون ليسوا أصحاب يزيد! إنهم يحدثوننا وكأننا لا نفكر، كلامها بعيد عن الحقيقة، وهو أقرب إلى الفتنة، ويذهب بالبلاد إلى هاوية الطائفية واستمرار القتال.

رشا يا أختي (وأنا اقبض على يديها بقوة) أريدكِ أن تكوني عاقلة وتصدقيني، هل تتذكرين إمام وخطيب المسجد المجاور لبيتنا؟

- نعم أتذكره.

- أين ذهب به الحوثيون؟ وأين ذهبوا بمعلم القرآن؟ وأين ذهبوا بمدير الجمعية الخيرية الذي كان يتفقد الفقراء والمحتاجين ويكسو أبناءهم في العيد؟

هؤلاء كلهم في سجون الحوثي، بعد أن نهبوا بيوتهم وحاولوا قتلهم، أين المحاضرون وحفظة القرآن، الذين كانوا يُحيون حارتنا وكل حارات المدينة؟ لقد شردهم الحوثيون، وهاجروا بدينهم إلى مأرب، أليس من حق هؤلاء أن يقاتلوا ويدافعوا عن أنفسهم وعن

الأرض التي هاجروا اليها؟ أليس من حقهم أن يقاتلوا كي يعودوا إلى بيوتهم وقراهم؟ ثم يذهب الحوثي بأوباشه ليقاتلوهم ويتذرعون أنهم يقاتلون أمريكيين وإسرائيليين، لقد غرروا بكثير من الناس فقتلوا بسببهم.

أي مظلومية تتحدث عنها أم حسين؟ وسلالتها مارست أبشع انواع الظلم ضد هذا الشعب منذ ألف عام، لقد فاقت جرائم هذه السلالة جرائم النازية والفاشية، يكفي ظلم الهاشميين لبعضهم بعضاً وخصوصا لبناتهم، وأنتِ واحدة ممن وقع عليهم هذا الظلم، فقد جاء لخطبتك من ترغبين به، فرفضوه بحجة أنه ليس هاشمياً.

- نعم ما تقولين هو عين الصواب وهي الحقيقة، إن الواحد يستحي أن يقول إنه هاشمي لأفعالهم المشينة، لكنني أخاف بطش أبي وأمي.

- والناس كذلك يخافون بطش هذه الجماعة، وما علموا أن تكلفة ضريبة الذل والخوف أكثر بكثير من تكلفة الحرية، وأنا لن أتردد عن قول الحق ومناصرته مهما كلفني ذلك من ثمن.

- أمل من أين تعلمتِ هذا الكلام الذي لا يقوله إلا القادة الأحرار!؟

– سمعته من خطيب الجامع، كنت أحرص أن أستمع إلى خطبته كل جمعة وكنت أحفظ ما يقول، كم كان يحذر من خطر هذه الجماعة، ومن أفكارها، كان الحوثيون يومها ما يزالون هناك في صعدة وعمران، لم يدخلوا صنعاء بعد، لكن الناس لم يكونوا مدركين.

في المســاء تذكرت أمل، طيف خيالها لا يفارقني، نظراتها البريئة وكلماتها الرقيقة المصبوغة بالطهر، يُســريان على قلبي المكلوم، لماذا لا أقول لســلمى تفاتحها في موضــوع خطبتي لها؟ فأنا أحتاج لها كزوجة وأرغب في تخليصها ممَ هي فيه.

سلمى ماذا ستعملين غداً، فغداً يوم جمعة؟

- لقد تواعدت أنا وأمل أن نذهب لزيارة الأســتاذة عزيزة، أســتاذتنا التي تعلمنا على يديها الكثير أيام المدرســة، لنتفقد أحوالها ونواســـــيها فزوجها مازال مختطفاً لدى الحوثيين منذ سنتين.

- الحوثيون اللعنة عليهم، فخطيب الجمعة ومعلم القرآن والمثقف والصــحفي هؤلاء هم العدو الأول لدى هذه الجماعة المتخلفة.

-أريدك أن تتحدثي إلى أمل بأنني معجب بها وبأخلاقها، وأنني أبحث عن زوجة.

-لا عليك دع هذا الأمر لي.

-وهو كذلك، وأنا سوف أذهب لزيارة خالي محمود وأجلس معه، ومع بعض الزملاء بعض الوقت، فقد وعدتهم أن نجلس سويا.

والان سأخلد إلى النوم، تصبحين على خير.

❖ ❖ ❖

منذ دخول هذه الجماعة وسيطرتها على المساجد، ومنها مسجدنا هذا، لم يعد هناك من يحضر لاستماع خطبة الجمعة إلا القليل، كان جامعنا هذا لا يتسع لكثرة المصلين، واليوم لا يتجاوز عددهم العشرين مصليا، أي كارثة حلت بنا يا رب.

فلنستمع لخطبة الخطيب القادم من هناك، من صعدة، صعد المنبر حاملاً بندقيته على كتفه وجعبته مشدودةً على صدرة معبأةً بخزنات الرصاص والقنابل، وقف الخطيب المسلح على المنبر عابس الوجه، لا أثر للربانية على وجهه، يتحدث إلى الناس وكأنه رب عمل يتحدث إلى عماله، مغتراً بنفسه، المتحدث من هذا النوع لا يجيد إلا حديث الرصاص والقتل، قال في خطبته:

-الحمد لله الذي فضل نبينا على سائر الأنبياء، وفضل آل بيته الاطهار على سائر الخلق، فاصطفانا من بين الناس، وخصنا

بالولاية على خلقه إلى يوم القيامة، وجعلنا ورثة النبوة والكتاب، وجعل أئمتنا المعصومين من الزلل أعلاماً للهدى وسفينة للنجاة، من ركب عليها نجى، ومن تخلف عنها هلك، فبطاعتنا ومحبتنا، يدخل الناس الجنة، وبمعصيتنا وجبت لهم النار، وقد أنعم الله على الأمة اليمانية وأكرمها بوجودنا، وهي نعمة لا يعلم بقدرها إلا أولئك الذين قدموا أنفسهم وأموالهم طمعا في حبنا والقرب منا، وعرفوا أن حبنا والقرب منا، هو الطريق إلى حب الله ودخول جنته، وصدق إمامنا المنصور عبدالله بن حمزة حين قال:

يا قوم ليس الدر قدراً كالبعر
ولا النضارى الأبرز كالحجر
كلا ولا الجوهر قدراً كالمدر
فحاذروا من قولكم مس سقر

ثم تحدث عما أسماه العدوان السعوصهيوأمريكي، وأنهم من يواجهونهم، وسيسيرون على خطى قائدهم حسين الحوثي، الذي يحتفون بذكرى مقتله، ثم تحدث عن القائد علي محسن، وأن ثأرهم منه كبير، وأنه وجنوده من قتلوا حسين الحوثي، وتحدث أن المرتزقة حسب قوله، في مأرب يلفظون أنفاسهم الأخيرة أمام ضرباتهم الحيدرية، وذكر أنهم يقاتلون في تعز ومأرب عملاء

أمريكا وإسـرائيل، وأنهم يسعون لتحرير الناس في تعز ومأرب من سيطرة الأمريكيين والدواعش.

-الحقيقة أن الذين لا يحضـرون الخطبة معذورون، ولقد هممت أن أخرج من المسجد، فقد ضاق صدري بثقالته، وأصاب رأسـي صـداع شـديد، خطبة تعج بالاسـتعلاء والعنصـرية والغرور والكذب على الله ورسوله.

حضـر معي الخطبة خالي محمود والمحامي نصـر، طلبت رأيهما فيما قاله الخطيب فقال المحامي نصر:

هي نفس الأسـطوانة يكررونها في كل خطبة وفي كل مكان، وخلاصـتها أنهم يضـللون الشـعب باسـم الدين، ويقدمون الدين للناس بصـورة كهنوتية، يوحون للناس من خلالها أنهم هم الدين، وهم الاسـياد الذين يجب طاعتهم باعتبارهم ظل الله في الأرض، وما الناس إلا عبيداً لهم يوجهونهم كيف ما شاءوا.

وذكر خالي محمود:

الحقيقة أنهم يعيشـون في واقع بعيد، عن الواقع الذي يعيشـه العـالم اليوم، شـعوب كثيرة في هـذا العـالم تنعم اليوم بـالحريـة، والعدالة، والمواطنة المتساوية، بعد أن تحررت من العنصرية وادعاء الأفضـلية بالون او الجنس، وتجاوزت كل العصـبيات، والتمايز

الطبقي الذي لا يكرس إلا العبودية والاستبداد، وصارعت من أجل العدالة الاجتماعية، فما ذكره الخطيب الحوثي، هو كلام ما أنزل الله به من سلطان، يريد أقناع الناس أن هذا هو الدين، وهذا تضليل واضح للحقيقة، من حقه أن يعتقد في نفسه ما يشاء، لكن ليس من حقه وجماعته المسلحة أن تجبر الناس بالقوة وبالسلاح باعتناق فكرهم وبتكفير من يخالفهم.

ما تعتقده جماعته هي سخافات لن تدوم ولن يقبل بها الشعب، وإن قبل بها أحد فمن باب المجاملة او الخوف، وهذا لن يدوم، سيثور الناس يوماً على هذه المعتقدات والخرافات البعيدة عن الدين الحق.

❖ ❖ ❖

جاء موعد زيارة أمل للمستوصف، رحبت بها سلمى عند دخولها:

-أهلا أمل تفضلي، كم أرتاح حين أراك.

-وأنا لا أشتاق لأحد شوقي لك، وللدكتور ضياء، قلبي يطمئن لكما.

-الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها

اختلف، هيا لندخل لتخبري الدكتور ضـياء بحالتك الصحية، وما الذي يلزم فعله.

أنهينا المعاينة والكشـف عن حالتها، ثم تحدثنا عن مشـكلتها مع أبيها هاشم المراني، وأبي حرب فقلت لها:

-أخبرتني سلمى أن أبا حرب مشـرف المستشفى هو ابن عمك!

-نعم يا دكتور، هو شـخص سـيئ، نعـرفه هكذا من زمن طويل، وهذه الجماعة لا يلتحق بها إلا من أمثال أبي حرب، ومن على شاكلته.

-لا يمر يوم على أبي حرب دون أن يصنع مشكلة في المستشفى، ويحشـر أنفه في كل شـيء، سمعت أنه يريد خطبتك!

-نعم وهـذا لن يكون، وقـد كررت هـذا الرفض لأبي مراراً، لكنهم لا يستمعون لرأينا في هذه المسائل.

-ما هذه القسـوة عند أبيك؟ أنتِ لا تصـلحين أن تكوني زوجة لهذا الكائن.

-اطمئن يا دكتور لن يكون أمر زواجي إلا بيدي أنا، حتى لو كلفني هذا الأمر حياتي، لن أتزوج إلا من أرتضـيه لنفسـي صاحب الخلق والدين.

أبو حرب وأبي وأخوتي جميعهم يضيق صدري منهم، ولا أطيق أعمالهم وتصرفاتهم وافكارهم، إن قلوبهم لا تعرف الرحمة، ولا يعرفون الله، همهم إرضاء أسيادهم وشهواتهم، أنا لست منهم يا دكتور، حتى أبي دائما يكرر هذه الكلمة انتِ لستِ منا يا أمل.

-أمل يا عزيزتي أنتِ منا، ونحن منك، لا تقلقي سأقف بجانبك ثقي بي، لن نتركك للذئاب المفترسة، لا تيأسِ وأنظري للمستقبل، ستتغير الحياة ودوام الحال من المحال، علينا أن نتفاءل، ومهما أرتفع الباطل فسينتكس ويتلاشى وينتصر الحق، نحن في مرحلة ابتلاء، في النهاية سينتصر الصابرون الذين ركنوا إلى قوة الله.

لقد وجدت فيك المرأة الطاهرة النقية، كم تذكريني بزوجتي يرحمها الله! فقدتها قبل سنتين، تشبهينها في كل شيء.

-يرحمها الله، لم أعلم بهذا الأمر إلا الآن، أسأل الله أن يؤجرك فيها، وأن يعوضك الله بامرأة تقر بها عينك.

-استأذنت مني لترى سلمى، توجهت إلى سلمى، فأعطتها خاتماً انتزعته من إحدى أصابعها، قالت لها سلمى، وهما يدخلان غرفة المختبر:

- ما هذا يا أمل؟

-خذي هذا يا سـلمى هذا خاتم ذهب هو آخر ما تمتلكه أمي، مقابل العلاج والكشافة وعنايتكم بي.

- ضعي خاتمك في إصبعك، قلت لك أنتِ واحدة منا، وضـياء لن يقبل منك هذا الفعل.

الدكتور ضـــــياء معجب بك يا أمل، وقد وقع حبك في قلبه، ويريد أن يتقدم إلى أبيك ليطلب يدك منه، فما رأيك؟

-لا أدري ما أقول لك، لقد صدمتني بهذا الأمر واخجلتني، أن أكون زوجة للدكتور ضـياء، فهذا شـرف لي ما بعده شـرف، وهذا دليـل حـب الله وتوفيقـه لي، لكن أهلي لن يقبلوا بـذلـك، فهم متعصبون لعنصـــريتهم الجاهلية، أخاف أن يرفضوا طلبه، وأخاف أن يؤذونه بسببي.

- أمام إصـرارك لن يقدروا على ذلك.

-أنا سأواجههم بقوة، وإذا كانت هذه هي رغبة الدكتور ضـياء، فلن أكون إلا له بعون الله، مهما كلفني هذا الأمر.

خرجت أمل من المستوصف وهي مرتبكة، قلت لسلمى:

-هل فاتحتيها في الموضوع؟

-نعم، قالت ما دمت راغباً فيها، فهي لن تكون إلا لك، حتى وإن كلفها ذلك حياتها.

- وأنا كذلك لن أتخلى عنها مهما كان الثمن، أنا سعيد بهذا الرد، ولا شك أنها معركة جديدة مع أبي حرب، وقد تكون مع أهلها أيضا.

معركة أمل مع أبيها وكلبه أبي حرب معركة وجود، إن انتصرت فيها، فقد انتصرت لذاتها ووجودها، وإن انتصروا عليها وحققوا رغبتهم فقد اغتالوا ذاتها ومستقبلها بلا رحمة، إنها معركة الإصرار مع العنصرية، ومعركة الحب مع الحرب والدماء، أن تكون ابنة القيادي الحوثي هاشم المراني زوجة لأحد خصوم المسيرة، فهذا يعني انتصار الحب على العنصرية والحرب، وكما هي معركتها، فهي أيضا معركتي كذلك، فأنا لن أتخلى عنها، ولننظر كيف ستخوض أمل معركتها معهم بمساعدة أختها رشا:

-رشا يا حبيبتي أنا الليلة أسعد بنت في هذا العالم.

-أتمنى لك السعادة يا أختي بشريني ما الذي أسعدك؟

-الدكتور ضياء الذي أحدثك عنه دائماً الطبيب الإنسان الذي وجدت فيه عطف الاب وشفقة الأخ وحب الحبيب يريد أن يطلبني للزواج من أبي.

-لحظة لا تنطقي بشـــيء، حتى أُغلق باب الغرفة كي لا يسمع أحدهم بفرحي وبهجتي، كم أحبك يا أختي، فهذا أحســن خبر سمعته منك، لكن هل سيقبل به أبي؟

-نعم ســيقبل وإلا فلست أمل، شعاري هو ضــياء أو الموت، أحبه من كل قلبي يا رشــا، أريد ان أعيش هذه الحياة كإنســان، اكتمي هذا الامر، وعقبى لك يا رشــا، فالله لن يتركنا للذئاب، هيا إلى النوم، مع أنني متأكدة أن النوم لن تكتحل به عيناي هذه الليلة.

-ولا انا كذلك.

❖ ❖ ❖

-جاء الصباح، ما اجمله من صباح يا رشا!

لم أنم إلا بعد أن صلينا الفجر.

-وأنا أيضاً، سأرى ما تبقى من إفطار لآتيك به يا عـروسة.

- اضحكي كيفما شئت يا حبيبتي.

الحمد لله الفطور اليوم له مذاق خاص...متى يقوم ابي من نومه يا ترى؟

-ابي لا ينام إلا عند شـــروق الشمس، فهو يلعب طوال الليل هو وإخوتي بلعبة الدمنة، فإذا أذن طلع الفجر، قاموا إلى النوم ثم لا

يستيقظون حسب العادة إلا ظهراً عند الغداء، وهكذا.

لكن يا أمل، سمعت أمي وأنا أجهز الفطور تقول، أن عمي وولده أبو حرب سيأتيان اليوم لخطبتك.

-فليأتوا وأنا جاهزة بالرد، لقد منحني ضياء قوة إلى قوتي لا تقلقي.

-هذا أبو حرب قد وصل وبيده أكياس القات.

-لكن أين أبوه الساحر لماذا لم يأتِ؟ أم أنه مشغول بعمل التمائم والأسحار.

-يجب عليك ان تحذريه فقد يضرك هو إنسان لئيم وحاقد.

-اعلم ذلك.

-إذاً يا أمل يجب عليكِ أن لا تأكلي أو تشربي من يد أحد إلا من يدك أو يدي أنا، احذري فقد عانى أناس كثيرون من عمي وسحره، وانت تعلمين ذلك.

-نعم نعم، اريدك ان تذهبي إلى المجلس لتنظري ما الأمر.

-رشا نادي اختك أمل لتأتِ، وتسلم على أبن عمها أبو حرب، لقد أصبح خطيبها من اليوم.

-دخلت إلى المجلس، أبي ماذا تريد؟ وهو يتلاعب بجهاز تغيير قنوات شاشة التلفاز.

-سلمي على ابن عمك فقد اصبح خطيبك!!

-أبو حرب ينظر أليَّ مبتسماً، فقلت:

لن اضع يدي في يده القذرة، ولن يكون خطيباً لي، ولن اتزوجه، والموت أحب اليَ من أن يكون أحد كلاب مسـيرتكم زوجاً لي، الجمل لا يأكل إلا ما يروق له، وإن أردت أن تقتلني فاقتلني الآن، لكنني لن أقبل به، ولن اتزوج إلا من يرضاه قلبي، افهم هذا، ويكفيك ظلماً لي.

فأجاب وقد انتفخت اوداجه، واحمر وجهه:

-من انتِ حتى تكسري كلامي، لن تتزوجي غيره، وكلمتي هي التي سوف تمضي.

قال أبو حرب وهو مطأطئ رأسه للأسفل:

-متى يا عم كان للنساء رأي عندنا؟ ولماذا هكذا تتحداك بهذا الكلام الوقح؟

-لا عليك انت، كلامي هو الذي سيمضي.

شـرف مرتضى: الحقوا بها وأدبوها!!

– دخلوا عليَّ كذئابٍ مفترسة، ماذا تريدون مني؟ من انتِ حتى يكون لك رأي وتكســري كلامنا وقد اخترنا لك زوجاً، ابن عمنا أحد المشـرفين.

–أنا من ســيتزوج وليس انتم، أنا إنسانة لديها قلب ومن حقي في الحياة أن أُخير، وأنا من ســـيتزوج وليس انتم، أنا لسـت دابة تقودونها أينما تشـاءون!، تذكرون أن أبي أخذني من الشـارع، وأنا طفلة العب بين الأطفال وزوجني لوحش وليس إنســاناً، واليوم أنتم وأبي تريدون أن تكرروا نفس الخطأ ونفس الظلم.

ماذا تريدون مني؟ أنا أرفضــه ولن أتزوجه والموت أهون لي من ذلك، وإذا أردتم أن تقتلوني او تضـربوني فتفضلوا، خذوا نصيبكم من دمي ومن جسدي النحيل، هذه السكين اعطوها لأبي ليذبحني الآن، لكن أن اتزوج بمن تريدون أنتم فلن يكون، واعلموا تماما أنني لن أستسلم ولن أساوم في حياتي وكرامتي وحريتي بعد اليوم.

أخذ أخي الأكبر مرتضى حبلا وقبل أن يقيدني به ضـربني ضـربا مبرحا وأنا أستنجد وأصيح، اســرعت أمي ورشا تدافعان عني، فضـربوهما أيضا بلا رحمة!!

إخوتي من أمي مازالوا صغاراً، أبي وأبو حرب يتلذذون بصوتي

وأنا أصيح، فالكل في هذا البيت عدو لي إلا أمي وأختي رشا.

قلت لرشـــا وهي مفزوعة من حالتي والحبل ملفوف على يدي ورجلي، قلـت لهـا، لا تبكي ولا تقلقي يـا اختي، خـذي تلفوني وتواصلي بسلمى وأخبريها بكل شيء، ففعلت ما قلت لها.

عـادت أمي وأزالـت القيود التي علي، وهي تعلم أنها لن تكون في امان منهم.

ارتمت رشـا ووضعت رأسها على صدري وقلت لها كم أنا قلقة عليك يا رشا؟

أما انا فلن يأخذوا مني شيء، نقطة ضـــعفي الوحيدة هي أنت وامي واخوتي الصـــغار، وإلا فلن أبقى في هذا البيت فأرض الله واسعة، لم تصب بنت في صنعاء من العذاب والقهر مثل ما اصابني وحل بي، لكن حسبي الله ونعم الوكيل، لقد عُذب من هم خير مني بلال وعمار وأمه سمية وصبروا وانتصـروا في النهاية.

إنه المبدأ نفسه، والقضـــية نفسها، قضـــية الانتصار للحرية والكرامة.

-لقد خرج أبو حرب من البيت يا أمل وهو منكس رأسه ذليلاً، إنها أول هزيمة يتلقاها.

-فليذهب إلى الجحيم هو وجماعته ومسيرته الظالمة.

علمت بما حدث لأمل... أبو حرب أيه الوقح معـــركتي معك سـوف تتسـع، في البيت وفي المسـتشـفى لن أتركها لهم سـأذهب لخطبتها.

-أخبريها يا سلمى أنني قادم لخطبتها من أبيها.

-سوف أتصل بها الآن.

-رن جرس الهاتف هذه سلمى تريدك.

-ناوليني الهاتف وأغلقي الباب.

-نعم يا سلمى.

-كيف حالك يا أمل؟

-الحمد لله على كل حال، أنا بخير وأنا معتادة على هذه الأفعال التي تأتي منهم، لكن بأذن الله سـننتصـــــر، نحن المتمردون على الظلام، وظلامهم سيتبدد امام نورنا الساطع.

-الدكتور ضياء سياتي لخطبتك غدا.

-أبلغيه ليس الآن فالوقت غير مناسـب وأخشـى أن يرتكبوا في

حقه أي حماقة لكن ســـياتي الوقت المناسب، بلغيه تحياتي وقولي له الصبر قليلاً، ولن أكون إلا له، إن شاء الله.

هو يسمعك الآن وسماعة الهاتف مفتوحة.

-خيراً إن شاء الله أهتمي بصحتك يا أمل.

-لا تقلق يا دكتور احذر على نفســك، أمي الآن تطلب من أبي أن يأذن لنا بالســفر لزيارة أخوالي في صــعدة ســننظر ما هو رده واخبركم.

❖ ❖ ❖

-هاشم (وهو بوجه عابس).

-ماذا تريدين أنتِ يا وجه الشؤم؟

-أرجو أن لا ترد لي هذا الطلب.

-وما طلبك؟

-أريد أن أســافر لزيارة أهلي أيام وأعود، وســتذهب معي أمل لتروح عن نفسها قليلاً، فتعود وهي أفضل مما هي عليه الآن.

-اذهبي انت وابنتك إلى الجحيم!! لا أريد أن أرى وجهيكما بعد اليوم.

-إذاً استأذنك لنتجهز.

-أمل هيا لنتجهز للسفر غداً صباحاً سنغادر إلى صعدة.

-بشرك الله بالخير، يعني سأخرج من صنعاء.

-نعم وقال أبوك نذهب حتى إلى الجحيم.

-وهل هناك أعظم من هذا الجحيم الذي نعيشه في هذا البيت؟

- أشكرك يا الله أنت وحدك من تفرج عني الهم إذا بلغ بي الضيق مبلغا.

قبل أن تغادر أمل صنعاء، جاءت إلى البيت لتوديعنا، كانت لحظات الوداع شديدة على النفس، رغم شجاعتها وذكائها لكنها أيضا رقيقة المشاعر، كانت كلماتها عند الوداع مؤثرة، سلمى أختي لم تتمالك نفسها ظلت تبكي طويلاً، إن قمة الوجع حين يضيق الإنسان في بلده، وبين أهله، فيرى الخروج من هذا الضيق فسحة وحياة، كم ضيقت هذه الجماعة على الناس معايشهم وحياتهم، وكم ضاقت صدورهم بها، والأكثر ألماً حين تعيش غريباً بين أقرب الناس اليك، وهم ينظرون اليك أنك بينهم نكرة لا تطاق، وأنت تريد لهم الخير.

تقول أمل فيما بعد:

-تحركت بنا الســـــيارة، وركبت أنا وأمي في المقعد الأمامي، ونحن نودع صنعاء، صنعاء التي تهواها القلوب لم تعد كذلك، لقد عبث بجمالها ذئاب المســيرة الشــيطانية وأصبحت تضــيق بأهلها فصاروا يفرون منها.

إنه ليحضـــرني عند وداع صنعاء قول ذلك الشاعـــر - فواز العضــلي - الذي ترك صــنعاء مهاجراً إلى مأرب، بعد أن ضــاق به العيش فيها فقال:

غثيناكِ يا صنعاء وأنت لنا السلا

كرهناكِ رغم إنا نحبك بلا نقاش

كرهنا حياة الضيق والغبن والبلا

أنفنا نعايش من تعدى على حلاش

وجينا إلى الصحراء وعشنا في الخلا

تركنا مساكنا لنسكن في العشاش

شـرينا الامل والحرية كاش بالغلا

وبعنا حياة الذل واصحابها بلاش

وجيناك يا مأرب وما كان فيك حلا

وسرتي وطنا دون راتب ولا معاش

وفيك اطمأنينا مع خيرة الملا

غبارك لنا خيمة ورملك لنا فراش

قد اليوم عليتي وطاولتي العلا

وعدتي سبأ أرض الحضارة والانتعاش

عشقناكِ واقسمنا بمن جل واعتلى

على عزتك نحيى ونفنى على حماش

لا نرى أمامنا إلا مواكب السيارات محملة بجثث القتلى، الصوت الغالب على طول الطريق هو صوت المقرئ محمد حسين عامر، وأحيانا زوامل الموت.

واطقم محملة بالمسلحين البعض منهم أطفال يساقون الى جبهات الموت، كان الأولى بهم أن يكونون في المدارس والجامعات.

أي نكبة حلت بهذا الشعب!؟

الطريق طويل يا أمي متى نصل؟

-سنصل بعد أربع ساعات.

إذاً اشغل نفسي بالقراءة من التلفون فقد ضمتني سلمى إلى

إحدى مجموعات الواتس الثقافية، ما يعجبني في هذا الجروب هي مقالات الدكتور ضـياء إنها كلمات من نور حقا، وما تزودني به من أخبار الأبطال في جبهات القتال.

آه، يا ضـياء متى نسافر معاً بسـيارتك الجميلة، ونشاهد أحلى المناظر في طول اليمن وعـرضها؟ كم الفرق بينك وبين ذاك الوقح أبو حرب؟ إنه لا مجال للمقارنة، فكيف أقارن بين الظلام والنور وبين العلم والجهل بين إنسان مشـروعه الحياة والحب للناس وآخر مشـروعه الموت والكراهية.

سأقرأ هذه المقالة عنوانها (الشدادي الشهيد الحي)

لم يكن الشـهيد عبد الرب الشـدادي إلا واحدا من أولئك الشـهداء الأبطال الذين مضـوا في تاريخ شـعبنا مدافعين عن الدين وعن الحرية والكرامة، الـذين جنـدوا انفسـهم لمقـارعـة الإمـامـة وجهلها وتخلفها، لقد مضى- في الطريق التي سـار فيها شـهداء ثورة السادس والعشـرين من سبتمبر، وسار رمزاً كرموزها الأوائل من الرجال الأحرار كالزبيري، والقردعي، والثلايا، والعلفي، واللقية، وعلي عبد المغني، وجزيلان، وفي ذكرى اسـتشـهاده نرى اليوم الالاف من أبطال الجيش الوطني يسـيرون على خطى قائدهم، إنها مسـيرة واحدة وتيار واحد سـوف يجرف فلول الإمامة إلى مزبلة

التاريخ، وسيأتي اليوم الذي ستنتصر فيه صنعاء كما انتصرت من قبل وحينها سننشد جميعا ما قاله المقالح:

وثأرتِ يا صنعاء

رفعتِ رؤوسنا بعد انكسار

أخرجتِ من ظلماتك الحبلى أعاصير النهار

وولدتِ هذا اليوم بعد ترقب لك وانتظار

قرأت الكثير من المقالات ففيها فائدة كبيرة.

-يقول السائق أننا اقتربنا من مدينة صعدة، ونسمع أنها أصبحت مدينة كبيرة، وتغير الكثير من ملامحها.

أحد الركاب وهو شاب، أسمع له في طول الطريق همهمة فيها لعن وشتم حينما ينظر إلى أطقم الحوثيين أو نمر بنقاطهم، يبدو أنه غير راضٍ عنهم، وها هو الآن يقول:

-إن لصوص المسيرة جعلوا من صعدة وكراً من أوكار المخدرات على مستوى العالم، فكل أنواع المخدرات والحشيش يتاجرون فيها، وأصبح الكثير من أبناء صعدة متورطين معهم في هذه التجارة والصفقات المشبوهة، وهم يجنون الأرباح الكبيرة من الخلف دون أن يظهروا، وهذا ما مكنهم من شراء الأراضي

وعمارة البنايات العالية والفنادق، لكن أين سيذهبون من عقاب الله وعقاب الشعب.

لم يلبث، أن أشر للسائق بالتوقف ونزل، وكأنه يريد أن يعرف الركاب بما يصنعه الحوثي وجماعته في صعدة قبل أن ينزل من السيارة ويغادر.

دخلنا المدينة... واتجهنا إلى بيت خالتي لنزورها ونرتاح عندها للصباح، إلى أن يأتي خالي غداً صباحاً ويذهب بنا إلى القرية.

اليوم سأرى زهور ابنة خالتي، عرفتها في صنعاء حين سافرت مع أمها وجاءوا لزيارة أمي، أنا مشتاقة لرؤيتها.

استقبلتنا خالتي وزوجها وزهور ورحبوا بنا، تناولنا طعام الغداء ثم أخلدنا إلى الراحة، وبعد العصر خرجت أنا وزهور وأخوها الصغير إلى سوق المدينة، وفي طريقنا إلى السوق شاهدنا منازل قد تم تفجيرها من قبل مليشيات الحوثي

، لكن ما أذهلني هي قصة أحد المنازل لأحد المواطنين من إب يسكن ويعيش في صعدة، يروي لنا قصة التفجير أحد أقاربه يقول:

في 19 مارس عام 2011، قامت جماعة الحوثي بأبشع جريمة بحق أسرة يمنية من محافظة أب، ألقت بها الأقدار لتعيش في مدينة

صعدة منذ سنوات لكن هذه الأسـرة مخالفة للحوثي في أفكاره، قام أحد أطفالها باقتلاع ملصـق من ملصـقات الموت التابعة للجماعة من جدران منزلهم، فما كان من أفراد الجماعة الذين حضـروا بالعشـرات إلا أن حاصـروا المنزل، وكان رب الأسـرة غائبا عن المنزل ولا يوجد فيه إلا النسـاء والأطفال وعددهم سـبعة عشـر نسـمة، ما بين طفل وامرأة وشاب، تمت محاصـرة المنزل ومنعوا الناس من الاقتراب منه، ثم فخخوه بالديناميت ليتم تفجيره بمن فيه، كان الأطفال والنسـاء يستغيثون ويستنجدون بجماعة ترى أن تلك الورقة الممزقة التي كتب عليها الشـعار وتم انتزاعها من على جدار المنزل أنها أغلى وأقدس من دماء الأطفال والنسـاء الذين يسـتغيثون ويسـتنجدون بهم، تم تفجير المنزل بمن فيه لتختزل تلك اللحظة تاريخاً طويلاً مليئاً بالحقد والدماء مارسـته الحركة الإمامية بحق هذا الشـعب منذ الف ومائتي عام، ليتجسـد في تلك اللحظة الوجه الحقيقي للمشـروع الإمامي الفارسـي، تم التفجير وبقى المسلحون الحوثيون ست ساعات وهم على ركام المنزل يمنعون وصول أي منقذ أو مسعف للأسـرة المنكوبة المدفونة تحت ركام منزلها، وبعد أن غادرت مليشـيات الحوثي ساحة الجريمة هب الناس لإنقاذ الأسـرة، كان الجميع قد قضـوا نحبهم شـهداء، إلا ثلاثة كتب الله لهم النجاة، عاد الأب المكلوم عند المسـاء فلم يجد بيتاً ولا أسرة، إلا ركام بيته على رؤوس أسرته.

واصلنا التسوق واشترينا بعض الحاجات التي تذكرنا بصعدة فيما بعد.

الحقيقة أن صعدة مدينة جميلة وذات خير وفير، ولكن يخيم على أهلها الخوف والرعب من هذه الجماعة المتسلطة، الليل تنشط فيه تجارة الحشيش وغيره.

هذ الجامع الذي أمامنا هو جامع صعدة الكبير، ويعرف بجامع الهادي، يأتون الزوار إليه من أصحاب المذهب الشيعي لزيارته والتبرك بقبر الهالك الهادي، بل إن من خرافاتهم أنهم يستخدمون التراب المحيط بالقبر للعلاج والتداوي.

-هذا (الرسي) يا زهور منذ دخوله هذه البلاد واليمن في حروب ما إن تهدى حتى تعود من جديد بين أتباعه واليمنيين، طوال هذه القرون ذهب ضحية هذه الحروب الملايين من اليمنيين، وشرد بسببها الملايين أيضا، كان يدخل قرى معارضيه فيمارس معها أبشع صور القتل والتنكيل، كان يهدم البيوت ويقطع الأشجار ويردم الآبار حتى السدود كان يحطمها، أما البشر فكان يصلبهم في جذوع الأشجار، هذا ما أخبرت به كتبهم، وهم يفاخرون كيف نكلوا باليمنيين.

-يوجد هنا في صعدة مقبرة الهجرين، يقال أنها أكبر مقبرة في اليمن بسبب تلك الحروب.

-أما المقابر يا زهور فهي إنجازهم الوحيد في كل مناطق اليمن في الماضي والحاضر.

-لقد هاجر من صعدة بسبب الحوثيين أشرف وأفضل من فيها، شردوا كل الأسر المخالفة لهم، أوقفوا كل المراكز العلمية، وبالذات مراكز تعليم القرآن والسنة، أفكارهم وسياستهم لا تقبل التعايش مع أحد، أعرف أسر مازالت تفقد عائلها إلى اليوم لا يعرف ذويهم أين مصيرهم؟ تم اختطافهم من داخل بيوتهم، لا يعلمون بصيرهم، هل هم قتلى أم مازالوا على قيد الحياة؟ بل لا أخفيك أن في حارتنا أختطف الحوثيون فتاتين قبل سنة لا يعلم أهلهن بمصيرهما إلى اليوم.

-وما سبب اختطافهما؟

-يلجأ الحوثيون إلى هذا الأسلوب الخبيث كنوع من الابتزاز ضد الأسر التي لا تشارك معهم في حروبهم، فيرغمونها على المشاركة إما بالمال أو بمقاتلين من أفراد هذه الأسر، وهذا الأسلوب يستخدمونه بكل نذالة في كثير من المناطق.

-أعلم ذلك يا زهور لقد وصلت نذالتهم إلى اغتصاب البعض من المختطفات، حصل هذا في صنعاء وغيرها من المدن وتحدث بهذه الجريمة تقارير حقوقية موثقة مع فتيات تم اغتصابهن بعد اختطافهن.

لكن ما يحدث في صعدة من ظلم ومصادرة لحقوق الناس وأراضيهم ومزارعهم، قد لا يقارن بمحافظة أخرى، ما يزيد عن 150 الف لبنة كما تقول التقارير الحقوقية هي إجمالي الأراضي والمزارع التي تم مصادرتها حول مدينة صعدة فقط، هنا يعيش الناس في رعب وظلم كبير.

-وكيف يتعامل والدك وأنتم مع هذه الجماعة؟

-أبي يكد ويتعب وما حصل من مال يحتفظ لنا بجزء والباقي يتم نهبه في انشطتهم واحتفالاتهم الدينية، اوما يسمونه بالمجهود الحربي، حتى نأمن شرهم، وقد أستطاع والدي أن يُهرَّب أخي إلى السعودية للعمل هناك، وهكذا الكثير من الناس.

-لا يوجد شعب في العالم يصبر على جماعة بهذه البشاعة كما يصبر هذا الشعب، لكن الصبر سيتحول يوما إلى ثورة ونقمة ضد هذه الجماعة السافلة، هيا لنعُد يا زهور حتى لا نتأخر أكثر، لقد اطلعت على جرائم هذه الجماعة من الواقع، فازداد يقيني أنها على

باطل، وأن الثورة والتمرد عليها وعلى من يقف في صـفها أصـبح واجباً ومن الضـروريات.

❖ ❖ ❖

ألا ترى يا خال أن صعدة أصبحت ضـيعة أو إقطاعية كبيرة بيد الأسـر السلالية.

أجاب خالي مازحاً وهو يضـحك، فوجهه دائماً بشـوش، يحبني، ويحب أمي، قلبه لا يعـرف الحقد:

اسـألي أباكِ هاشـم المراني، هو واحد من قيادات هذه السـلالة، وأنتِ إحدى شـرائفهم، سأناديك الشـريفة أمل.

-أنا يا خال أكره العنصـرية وأدعياءها، لا يوجد في قاموسـي شـريفة وغير شـريفة نساء اليمن كلهن شـرائف، وأصحاب المنطق العنصـري السلالي أنا لست منهم ولن أكون منهم، بل أتعبد الله ببغضهم.

-آه يا أمل لو تعلمين كم نعاني منهم، هذه جماعة طباعها غريبة عن طباع اليمنيين، طينتها ليسـت من طينة هذه الأرض، أخلاقها، أعـرافها بعيدة عن العـروبة والدين.

-كنت أسـمع جدي يا خال، وأنا صـغيرة يقول أن الكثير من

الذين يسمون أنفسهم هاشميين، ليسوا كذلك بل هم من أصول فارسية، بعضهم جاء مع "الرسي"، وبعضهم جاء بهم سيف بن ذي يزن، فالكثير منهم فرس وليسوا عرباً.

-هذه هي الحقيقة، أخلاقهم وصفاتهم بعيدة عن أخلاق العرب واليمنيين، فمتى فجر اليمنيون بيوت بعضهم بعضا؟ أو متى أحرقوا المزارع والأشجار وردموا الآبار؟ أو متى أختطف اليمنيون النساء من بيوتهن وذهبوا بهن للسجون؟ هذه يا أمل أخلاق الفرس وليست أخلاقنا، لقد صادر الحوثي مئات المزارع في مناطق صعدة وكذلك مئات الهكتارات من الأراضي بحجة أن أصحابها لا يؤمنون بأفكاره، ويتهمهم كذبا أنهم يوالون أمريكا والسعودية، وشرد الآلاف من قراهم، ومارسوا أبشع الجرائم ضد الناس، حتى أجبر الكثير للهجرة والفرار.

-ها قد اقتربنا من القرية.

-سنرتاح يا خال مع أصوات المواشي والعصافير والجو الرائع.

- إن شاء الله، لكن خذي حذرك من جواسيس الحوثي فهم كثير، أحيانا يتجسسون من تحت نوافذ البيوت في الليل، ليعرفوا إذا كانت الأسرة تتحدث عنهم، أو ليتعرفوا على القنوات التلفزيونية التي يشاهدونها، ليتم معاقبة من يشاهد قنوات الشرعية.

-هل وصلت بهم الحقارة إلى هذه الدرجة؟!

-نعم، بل وأبعد من ذلك، وستشاهدين بنفسك.

-وصلنا الحمد لله، ولا شك أن طعام الغداء جاهز، فالجوع يتلاعب بأمعائي.

-إن شاء الله نقضيها أياماً جميلة يا أمي، ولو أنني سأشتاق لسلمى ورشا وإخوتي الصغار، وقلت في نفسي، وسأشتاق أكثر للدكتور ضياء.

استنشاق هواء الريف ومشاهدة الجبال المكسوة بالخضرة، ورؤية الماء في الجداول، ومشاهدة المواشي ترتعي وتشرب من ماء الجداول وأصوات العصافير والطيور، كلها مناظر تحيي الروح وتوحي بالأمل وتزيل هم وضيق المدينة، كم نحن محرومين في المدينة بمشاهدة هذا الجمال.

لا أدري لماذا يهاجر الناس إلى المدينة، ويبتعدون عن هذا الجمال الطبيعي؟ ليت القدر يجمعني بمن أحب ونذهب بعيداً ونعيش في مثل هكذا أرض.

صفاء ابنة خالي ذات العشرين عاماً، تحب القراءة كثيراً، سأطلب منها غداً أن نخرج سويا نرعى المواشي بدلاً عن أختها

الصــغيرة، أحب أن أبقى في هذه الحقول واصــعد التلال وأغني بأغاني الأرض والفلاح.

جاء الصباح، هيا يا صفاء أخرجي المواشـــي لنذهب بها إلى الحقول سويا.

-دقائق وسنخرج يا أمل.

-ما أجمل الصبح في الريف، وأنت تنظر إلى قمم وسفوح تلك التلال الخضــراء الجميلة التي تخالطها اشعة الشمس عند الشــروق لتشكل لوحة فنية بديعة، ونسمات الصباح تداعب خدود الصبايا العائدات من الحقول محملات بأحمال الحشائش، وأصداء أصواتهن الجميلة تتردد في الشعاب والوديان، أدهشني صوت إحداهن وهي تغني برائعة العملاق مطهر الأرياني بصوت السنيدار:

ما أجمل الصبح في ريف اليمن حين يطلع
ما ابهاه وما اصفى هواه
وأغصان ترقص على نغم النسيم الموزع
من الخمائل شذاه
والزرع عبر الحقول أمواج تذهب وترجع
زاخر بوافر عطاه

كيف يريد الحوثي بزوامل الموت والحرب أن يتغلب على هذا

الفن الرائع المعجون بطينة هذه الأرض؟

لن يستطيع أن يسلبنا ألحان الحقول وأهازيج الحصاد، وأغاني الأرض والفلاح، إنه تراث، والتراث جزء من الهوية، عبثاً يحاول أن يستبدل ألحان الأرض والروح بألحان البكائيات والنواح في الحسينيات ومجالس العزاء.

-ناولتني صفاء الطعام الخاص براعي الغنم، وفي يدها عصا نهش بها على الأغنام وقصعة لسقيهن، انطلقنا إلى التلال القريبة، نتنقل بين الحقول ونتحدث إلى الناس.

-الكل هنا يا أمل يحب الحياة، لا يعكر صفو حياتهم في هذه القرى إلا مشاهدة تلك الأطقم المسلحة التي تباغت القرى بين حين وآخر، تريد أن تشارك الناس غلتهم عند الحصاد وتجبر الوجهاء على حشد مقاتلين إلى الجبهات، لقد غرروا بالكثير ولم يعد منهم إلا القليل سالما، لقد افتتح الحوثيون في جميع هذه القرى مقابر لقتلاهم.

قبل ثلاثة أيام في قريتنا المجاورة عاد أحد مقاتليهم من الجبهة، وكان في استقباله أمه، قالت له كيف تركتنا وأبوك مريض يحتاج إلى رعايتك؟ هل الحوثي أحب إليك من أبيك!؟ فرد عليها سوف اتخلص منكم وأرتاح، فقتلها وقتل أباه بلا رحمة أو شفقة وعاد ثانية إلى الجبهة.

-جرائم قتل الأقارب على يد عناصـــــــر الحوثي العائدين من الجبهة والعائدين من الدورات الثقافية اصـبحت ظاهرة مخيفة، حدثت عشـــــرات الجرائم من هذا النوع نتيجة للشـحن الطائفي وغرس ثقافة الكراهية والانتقام من المخالفين.

-هذا البيت يا أمل الذي أمامنا لشـخص رفض أن يسـلم جزءاً من الغلة إلى أيديهم في العام الماضـــــــي، فلم يمهلوه، قتلوا الأب وأخذوا ولده إلى جهة مجهولة، هذا الإرهاب جعل خيرة الشـباب يرحلون من القرى إلى بلاد الغربة، وبعضهم ذهب للقتال في صف الجيش الوطني في مـأرب، وهنـاك في ذلـك البيـت البعيـد إحـدى صديقاتي تقدم المشـــرف لخطبتها قبل شهرين فرفضته ولم تقبل به، فقام هو وعصابته بتلفيق تهمة على أبيها فأودعوه السجن، ليمارسوا الضغط عليه، وكان يتعـرض لها في الطرق ليغريها بنفسه، لكنها في إحدى المرات رمته بحذائها، ولحقارته مازال يتوعدها أنه لن يطلق أباها حتى توافق عليه.

وفي يوم آخر خرجنا فيه.

-أجواء اليوم ممطرة يا صفاء أليس كذلك؟

-نعم، مـا رأيـك أن نـذهـب إلى الحقـل سـويـاً لنجلـب بعض

الأعلاف، ثم نعود لنستعد للذهاب لعرس إحدى صديقاتي، سيتم زفافها إلى المدينة.

-وأنتِ قولي لي، متى سنفرح بزفافك يا صفاء؟

-آه يا أمل، لا تذكريني بهذا الأمر.

-لماذا!؟

-هل تنظرين إلى جمال غصن الرمان الذي بجوارك.

-نعم! وأنا أرى دموع صفاء تتدفق من عينيها الجميلتين.

-كان خطيبي بجمال وريعان ذلك الغصن، لكن قتله الحوثيون، قتلوه في أول ليلة من رمضان، مازلت مصدومة بالحادثة إلى الآن، وأحدث نفسي، هل بالفعل قد مات ولن أراه أبداً؟! كثير من الليالي أبكي حتى الفجر، لماذا قتلوه!؟ وهو الشاب البريء الحافظ لكتاب الله.

-ولماذا قتلوه؟ أخبريني.

-خطيبي كان يؤم الناس في مسجد القرية وجاء رمضان وأصر أن يصلي بالناس التراويح، لكن هذه الجماعة المجرمة لم تمهله، فعند خروجه من باب المسجد بعد الصلاة في أول ليلة صبوا رصاصاتهم

الحاقدة في صـــدره فأردوه قتيلاً، أصـــبحت الحياة والموت عندي سواء بعد فراق من نحب ونهوى.

-يا الله، ما هذا الجرم!! أي بشـــاعة هذه!! حســـبنا الله ونعم الوكيل، أنا آسفة قلبت لك المواجع، قلت لها ونحن نمسح دموعنا، احتســـبيه شـــهيداً عند الله، ديننا وأرضـــنا وكرامتنا يســـتحقون أن نضحي من أجلهم، لا ينبغي أن نستسلم، وثقي أن الله ســـيعوضك بشاب تقر به عينك إن شاء الله.

-لا يوجد بيت في هذه القرية إلا وراءه قصـة حزينة تسـبب فيها الحوثيون، منهم من قلعوا من حقلـه أشـــجـار الرمـان، ومن قـام بمنعهم قتلوه في حقله، ومن الناس ما يزال مخفياً لا يُعلم بمصـــيره إلى اليوم، ومن الناس من شـــــرد من القرية وهم يستغلون مزرعته واملاكه، حتى إحدى الفتيات مازالت مختطفة منذ ســـنة، بســـبب خلاف أســـرتها مع الحوثيين، والهدف يريدون إخضاع أســـرتها بهذا الأســـلوب الوضـــــيع، أما النهب فحدثي ولا حرج، لا يتركون للناس إلا القليل، ما تعانيه قريتنا هو أنموج لما تعانيه جميع القرى في محافظة صـــعدة، هذه المحافظة منكوبة، وما يعلمه الناس من خلال وســـائـل الإعلام بما يحـدث فيهـا من ظلم وقتـل وتهجير واختطافات ونهب إلا اليســير جداً، نحن يا أمل نعيش واقعاً مظلماً

لا أمل في الخروج منه إلا بزوال هذه الجماعة الإرهابية المتخلفة، وأتخيل لو لم تكن هذه الجماعة موجودة في اعتقادي لن يكون أسعد من اهل هذه البلاد.

- اليوم يا صفاء لم تعد صعدة وحدها من تعاني هذا الوباء، لقد عمت النكبة كل اليمن وبالذات في صنعاء، آه يا صفاء، لو تعلمين ما أعانيه من إخوتي وأبي، لا توجد فتاة تعاني ما أعانيه منهم، لكن علينا أن نثق بالله وحده فهو من بيده الأمر كله.

❖ ❖ ❖

بنات القرية يتساءلن:

من هذه التي جاءت مع صفاء؟ ألا تسمعين يا صفاء؟

-سأخبرهن، هذه أمل ابنة عمتي تسكن في صنعاء جاءت مع أمها لزيارتنا وزيارة القرية.

-ما شاء الله، كم هي جميلة يا صفاء!!

-هذا من ذوقكن، أنتن يا بنات الريف حزتن الجمال كله.

-هيا لندخل خيمة العرس فقد بدأت زفة العروس ألحان الأورج جميلة.

-ألحان جميلة واجواء جميلة وعـــــروس جميلة، لقد تجمع الجمال والفرح في هذه القرية، ما شاء الله الابتسامة والفرح على وجوه كل النساء.

-هذه أم العـــــروسـة يا أمل هيا نبارك لها، ألا ترين كيف تبدو الفرحة على وجهها، أسأل الله أن لا يكدر عليهم فرحتهم.

-الناس يبحثون عن أي مناسبة يعبرون فيها عن مشاعـــــرهم وأفراحهم وأخواتهم، يبحثون عن ما ينسيهم هذا الوضع الكئيب، يعجبني رقص بنات الريف، رقص جميل فيه الحشـــمة والأدب والـذوق، أتمنى أن نحـافظ على هـذا التراث وعلى هـذه العـادات الجميلة، فهي جزء من اصـالة وهوية شـعبنا الأصـيل، وأن لا تنجر الفتاة اليمنية، وراء الثقافات الأخرى لبعض الشـــعوب التي تريد غزونا بثقافتها الهابطة والوضـيعة المنسلخة عن قيم الحياء والحشمة.

صفاء ما هذا؟! أرى أطقماً عليها مسلحين وطقم رابع عليه نساء مسلحات، إنهم يقتربون من خيمة العـرس، ماذا يريدون منا؟ حتى الفرحة يريدون أن يحرموا الناس منها، إنهم يداهمون المخيم، الكثير من النســـاء يهربن ويتفرقن، ثلاثة من المســـلحين ومعهم إحدى المســـلحات الزينبيات يتجمعون حول آلة الأورج، ما هذا الجنون؟ لقد أخذوا الاورج والفنانة أيضـاً، بعض المسلحين يبحثون عن أبي

العـروس لأخذه أيضاً، يرتكبون هذه الحماقة بحجة أن هذه الأفراح تؤخر النصـــــر، ولأن فيها أغانٍ واورج، وهي من المنكر بزعمهم، لكن النهب والقتل عندهم ليس بمنكر، اللعنة عليهم، العـــــروس تبكي.

نسمع ضجة في الخارج خرجنا لنرى ماذا يحدث، أم العـــروس نراها تحتضن زوجها والدماء تســـيل من رأسه حتى غطت وجهه، يا الله ما هذا القبح؟ ضـــــربوه بأعقاب البنادق حتى أغمي عليه، إنهم لم يتركوه بل أخذوه ورموا به على أحد الأطقم، غادروا المكان بعد أن اختطفوا أبا العـــروس والفنانة وأدواتها، النسـاء تبكي من هول الموقف، وبكـاء العـــــروس وأمهـا أبكـانـا جميعـاً، لقـد قلبوا العـــــرس إلى مأتم، يا رب أنقذنا من هؤلاء المجرمين، صـفاء، هيا نواسـي العـروس، أريد أن أتحدث إلى النساء، نادي لهن ليجتمعن.

أيها النساء أرجو أن تستمعن لي:

إن هـذه الجماعـة الإرهابية هي من بقايا الكهنوت الإمـامي، لا تريـد لكم الفرح أو أن تفكروا فيـه، هي لا تريـد لكم إلا الحزن والبكاء، لا تريد لكم الحياة بل تريد لكم الموت، لا تريد للناس أن يعيشوا في سعادة وفرح وطمأنينة، بل تريد لهم التعاسة والفقر وأن يقدم الناس أبناءهم قرابين ليموتوا في الجبهات، ليعيشـوا هم على

حســاب هذه الدماء، هؤلاء الحوثيون مشـــــــروع موت ودمار ارفضــوهم من قلوبكم ومن حياتكم، وكونوا أحراراً كرماء، لن نستسلم، تعالين فلنفرح ولنُفرح عــروستنا، أنا من ســيغني لكن وعليكن أيها البنات أن ترددن معي وترقصــن أمام العـــــروس، وأخذت أغني وأنشد للعــروس والبنات يرقصن ورفعت صوت تلفوني بزفة أيوب الجميلة.

-لا تقلقي يا أم العــروس، سنبقى معها حتى يتم زفافها، ولن نجعل الفرحة تغيب عن وجهها.

-لا قلق ســـــيأتي غداً عمها ويزفها إلى المدينة، ولن نستسلم لنذالتهم.

-الله يا أمل، صوتك جميل وأنتِ تغنين الأغاني الصنعانية.

-أنا أحفظ الكثير منها، لن نجعل الفرح يغيب عن ساحتنا مهما صنعوا، سنناضل كي نرسم الابتسامة في وجوه الجميع.

-كلنا معك ولن نستسلم بعد اليوم، وكلنا يد واحدة في وجه الظلم.

لقد أشعلتِ فينا روح الثورة يا أمل، كان منظراً مهيباً وبنات القرية يجبن الشوارع ويصرخن لا استسلام بعد اليوم، بالروح بالدم نفديك يا يمن.

-أُريد منك يا صفاء أن تعيش القضـية التي أستشهد من أجلها خطيبك وتواصلي مسـيرة نضاله في هذه القرى، الشباب هناك يقاتلون في الجبهات وعلينا نحن أن نقاتل بطريقتنا هنا في القرى وسنشعل نار المقاومة والثورة في كل مكان.

آه، لو تعلم يا ضـياء أن أفكارك ستصبح صـرخة في وجوه المتكبرين ترددها الفتيات والفتيان في هذه القرى وفي كل مكان.

وفي أحد الأيام خرجت مع خالي في جولة إلى إحدى القرى المجاورة.

-خالي ما اشاهد في هذه القرى يثير استغرابي!

-وما الذي يثير استغرابك يا أمل؟

-ألا ترى يا خال أن النسـاء في قرى صـعده اكثر بكثير من الرجال، أرى المرأة هي التي تعمل في الحقول، وهي التي ترعى المواشـي، وهي التي تعمل في مزارع القات، والرمان، والعنب، وهي التي تبيع وتشـتري، بل أرى بعضـاً منهن تقود السـيارة والحراثة، اين الرجال وأين الشباب!؟

-آه يا أمل تعالي أريك اين الشباب، ومال بنا بالسـيارة يميناً، في خط متفرع عن الخط الرئيسـي الذي يوصلنا إلى القرية، القرية لا

تبعد كثيراً عن المكان الذي سنتوجه إليه.

-إلى اين يا خال؟

-اذهب بك إلى مكان يتوسط هذه القرى، لأريك أين الشباب.

-وصلنا وإذا بنا ننظر لوحة مكتوب عليها "روضة الشهداء"، توقفت السيارة ثم ترجلنا لندخل من بوابة المقبرة، إنها مقبرة كبيرة جدا! يوجد على كل قبر صورة الشاب القتيل.

-نعم إنها كبيرة هنا يرقد الشباب يا امل لا يمر يوم واحد دون ان تستقبل أعداداً من القتلى، هنا يتم دفن المستقبل، هنا يتم دفن شباب اليمن.

لقد كانوا ضحية أفكار وعقائد باطلة، كل هذا من اجل ان تتسلط على الناس سلالة الكهنوت الإمامي المتخلف، ليست هذه المقبرة الوحيدة يوجد الكثير من المقابر في مناطق صعدة، الرافضون لهذه المسيرة فروا الى بلاد الغربة ومنهم من ذهب مناطق سيطرة الشرعية والتحقوا بالجيش الوطني.

-الذين التحقوا بالجيش الوطني يقاتلون وقد يقتلون لكنهم أصحاب قضية عادلة يدافعون عن دينهم وجمهوريتهم وحريتهم وكرامتهم، لكن هؤلاء من اجل ماذا يقتلون؟ اشاهد امامي ما يزيد عن الفي قتيل.

-الذين يقتلون هنا او هناك كلهم يمنيون والذي تسبب في هذه الحرب هي هذه الجماعة التي ترى ان لها الحق في كل شـــــيء وما الآخرون إلا عبيد وأتباع يموتون من أجلها ويعملون لخدمتها ويمنحونها أموالهم التي يسلبونها منهم بأساليبهم المختلفة.

-يا خال هذه الجماعة بأفكارها وعنصـــريتها هي الســـرطان الخبيث، ولن يتعافى هذا الشعب إلا بإزالته واستئصاله.

-يا ابنتي لو أن هذا الشـعب يعي ويفهم ويزيل عن نفسـه غبار الجهل الجاثم على عقله لما بقي لهذه الجماعة أثر، ســـــر بقائها هو الجهل وزوالها بالعلم، هي تنظر ان العلم هو عدوها الأول وتسعى إلى تجهيل الناس بكل الطرق والأســاليب، نحن في هذه المناطق ســعى الإماميون وبالذات الســلاليين الهاشــميين إلى منع دخول المدارس في السـبعينيات والثمانينيات وحاربوا كل من يسـعى لفتح المدارس بل وحرضوا عليه وعلى من يلتحق بالمدارس وللأسف ان بعضهم تواطأ معهم وهذه هي النتيجة، هؤلاء هم ضحية الجهل.

-اعلم ذلك يا خال، فأنا واحدة منهم، غير أن الله عافاني من هذه الأفكار والمعتقدات الباطلة، هم يسـمون انفسـهم بالسـادة ونسـاءهم بالشـــرائف ويجعلون لأنفسـهم قداسـة في قلوب القبائل وإنما هي قداسة كاذبة وزائفة فهم ابعد الناس عن الدين والأخلاق والرحمة.

-إذا هيا بنا لنعُد الى البيت فقد علمتِ اين رحل شـباب القرى، هناك عائلات لم يعد يوجد بها إلا النسـاء فقط ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قلت لمن عندي من الأطباء، ها هو أبو حرب قادم انتظروا ماذا سيقول، فأساليب المطالبة الحضارية التي نستخدمها قد تزعجهم، فالجماعات المسلحة لا تؤمن بالمطالب السلمية.

-أبو حرب يحدث نفسه:

ما هذه الشارات الحمراء التي يضعونها على صدورهم؟ وماذا يريدون بهذه الشارات؟ وما شأن هذه الملصقات على جداران المستشفى؟ إنهم يهددون بالإضراب، كما توضح الملصقات، واليوم يضعون الشارات الحمراء على صدورهم.

إنه الدكتور ضياء، هو من يدعو دائما العاملين والأطباء بالمطالبة بحقوقهم ومرتباتهم، كيف يعملون هذا من ورائي وأنا مشرف المستشفى؟ أنا هنا كل شيء، أين الدكتور ضياء؟

ما هذه الشارات الحمراء التي تضعونها على صدوركم يا دكتور ضياء؟

-هذه شـارات تعبر عن المطالبة بالحقوق بصـورة حضـارية، وهؤلاء الموظفون والأطباء يطالبون بحقوقهم ورواتبهم التي كانوا يتسلمونها من قبل.

-ليس لـدينـا لكم أي حقوق، نحن في عـدوان وفي حرب، أحذركم وأحذرك أنت بالذات من هذه الفوضى.

-هذه ليست فوضى، هذه حقوق مشـــروعة وهيئة المستشفى دخلها من الإيرادات كبير، أين تذهب هذه الإيرادات؟ لقد جئت مشـــرفاً على المستشفى وأنت فقير لا تمتلك شيء، واليوم تمتلك البيوت والأراضي والسيارات، من أين لك هذا؟

-هذا ليس من شأنك، ومن أنت حتى تحاسبني؟ نحن من حرر البلاد وقمنا بثورة ضد فسادكم، أنتم هنا تعملون فقط، مثلكم مثل كل الموظفين في مؤسسات الدولة.

-وهل تركت ثورتكم دولة أو مؤسسات؟ لقد قضـيتم على كل شيء.

-دكتور ضـــياء أنت تقرب قدميك من السـجن بتحريضـك للموظفين والأطباء.

-هذه حقوق مشـــروعة ولن نسـكت عن حقوقنا التي نراها

تنهب بين أيدينا (قطع الرأس ولا قطع المعاش) هؤلاء جميعاً من ورائهم أســـر تحتاج منهم كل شـــيء، هل في قلوبكم رحمة؟ اليوم وضعوا الشارات الحمراء وغدا سـيكون الإضـراب والتوقف عن العمل، وعليك أنت والإدارة أن تبلغوا المعنيين في الوزارة والذين لا يعـــرفهم منا أحد في قطاع الصـحة، ولا ندري من أين جاءوا، والواجب عليك كمشـــرف أن تكون في صـفنا وتطالب بحقوق العاملين.

-إذاً سوف تتعب يا دكتور ضياء!

-فليكن، لا يهمنا شـــيء لم يعد هناك شـــيء نخاف عليه، لقد ذهبت البلاد وأخذتم الجمل بما حمل.

خرج أبو حرب من المستشفى وهو يتوعد الجميع بالعقاب، عاد بعد ساعة من الزمن بحملة عسكرية، اقتحموا المستشفى وأحدثوا ضجة بداخله، تجمع الأطباء والعاملين حولي، قلت لهم:

لا تتهيبوا من شـــيء، يجب علينا أن لا نستسلم مهما كان الأمر، نحن مازلنا في البداية وطريق النضال طويل وشاق ولن نستسلم.

-هذا الدكتور ضياء، اقبضوا عليه إنه من يحرضهم.

-أبا حرب ستندم على أفعالك أيها الصعلوك، سلمى عودي إلى البيت لا تقلقي سنعود.

عددنا تسعة، أربعة أطباء وخمسة موظفين، سمعت قائد الحملة وهو يبلغ بهذا العدد.

لا ندري أين يتجهون بنا! بعد أن غطوا أعيننا، وحشرونا في سياراتهم وذهبوا بنا إلى مكان يبدو عليه أنه مركز أمني، وضعونا في غرف انفرادية، لا يوجد في العالم أن يساق أطباء إلى المعتقلات، ويزج بهم في زنازين انفرادية بمجرد أن وضعوا شارات حمراء يطالبون بصورة حضارية بحقوقهم ومرتباتهم المشروعة، هذه جماعة لا تعرف هذه الأساليب، ولا ندري ما هو الأسلوب الذي يتم التخاطب به معها.

-تم استدعائي للتحقيق، وتم أخذ بياناتي، يبدو على المحقق أنه أحد أفراد الجماعة التي لا تجيد إلا القتل، وفمه مليئة بالقات، بدأ سلسلة لا تنتهي من الأسئلة كان أهمها:

-ما علاقتكم بالعدوان؟ ومن هي الجهة التي تدفعكم للإضراب؟ وما الفعاليات التي تنوون تنفيذها في الأيام القادمة؟

-أولاً ليس لدينا ارتباط بأي جهة، ولسنا مع العدوان، نحن

نطالب بحقوقنا فقط، فوراءنا أســـــر تحتاج أن تعيش بكرامة، لقد اضـطر بعضـاً من مدراء العموم أن يشـتغلوا في مطاعم ويغسـلوا الصـحون دفعهم إلى ذلك العوز والفقر، وهكذا حال كل موظفي الدولة، ونحن نعمل في جهة إيرادية كبيرة، على الأقل أن تسـلموا رواتبنا من أجل العمل في المسـتشـفى، وكي تسـتمر خدماته، عملنا إنسـاني مرتبط بصـحة الناس وحياتهم، لكن يبدو أن القائمين على البلاد لا يهمهم حياة الناس.

-لكن أنت يا دكتور ضياء تحرض الآخرين!

-الآخرون لا يحتاجون إلى تحريض، الوضع المعيشـــي، ورعاية أســـرهم هما من يدفعهم إلى المطالبة بحقوقهم، ثم أن هذه حقوق مشـــــروعة، وهذا الاحتجاج كفله الدسـتور والقانون، من قام باعتقالنا هو المخالف للقانون.

-اترك النظام والقانون جانباً نحن لا علاقة لنا به.

-تدخل أحد الضباط وكان حاضـراً أثناء التحقيق، أبدى تفهمه لما نقول، ويبدو عليه أنه وأحد ممن يعانون مما يعاني بقية الموظفين، أستطاع أن يقنع المحقق بإن بقاءنا خارج المستشفى تعطيل للعمل، ووجودنا ضـــروري لمعالجة الجرحى، وقيادة المليشـــيات يدركون أهمية وجود الطبيب الواحد في المستشفى أيام الحرب.

قام الضابط بالتواصل بإدارة المستشفى، وطلب منها أن تبحث عن حل لوضع الأطباء والعاملين، أبلغنا فيما بعد أن الرد سيأتي في الصباح، وقال يؤسفني أن تناموا هذه الليلة في السجن، تتبعت فيما بعد أخبار هذا الضابط الشهم وتأكد لي أنه التحق بصفوف الجيش الوطني في مأرب.

جاء الصباح، وجاء أبو حرب إلى المركز الأمني ليخبرنا أن الوزير وجه بصرف نصف راتب، ولا مانع من خروجنا من الحجز!، هذه الوعود قد مللناها، هم يقولون هكذا دائما ثم لا يصدقون في وعودهم، لكن لا حيلة أمامنا إلا الصبر، إننا نتعامل مع جماعة لا تفهم التزاماتها كسلطة أمر واقع، تريد أن تكون دولة، لكن دون أن تتحمل مسؤولية دفع رواتب من يعمل تحت إدارتها، وهذا من أغرب الغرائب.

عدنا إلى المستشفى وفي جعبتنا وعود الوزير، ثم ما لبثت أن عدت إلى البيت لأنام فلم أستطع النوم في تلك الزنزانة.

صـــحوت من نومي على خبر مزعج، وهو قنص ابنـة أحـد أصدقائي في تعز، خبر أزعجني وجعل صدري يضـــيق، طفلة لا يتجاوز عمرها التسـع سـنوات تخرج بدبتها الصـغيرة لجلب الماء، فيقوم أحد قناصـــة الحوثي بقتلها بدم بارد، ما ذنب هذه الطفولة البريئة أن تموت، إن حوادث قنص الأطفال والنســـاء على أطراف مدينة تعز تتكرر دائماً، كان الله في عونك يا صـــديقي ســـأرســـل له رسالة اعزيه فيها.

-خالي محمود، وعدتنا قبل فتره أن تنظم لنا رحلة إلى الحديدة، لنقضـي فيها أياماً نروّح فيها عن أنفسنا.

-نعم يا ضـــياء وانا عند وعدي وقد تحدثت مع المحامي نصـــر والمهندس أحمد قبل يومين بهذا لأمر، ســـأتواصـــل بهم ليجهزوا أنفســهم غداً إن شـاء الله، فأنا مشـتاق لزيارة بكر ولدي ومشـتاق لرؤية البحر أيضاً.

وصلنا الحديدة واستقبلنا بكر ابن خالي محمود.

-أهلاً والدي أهلاً ضياء أهلاً بالجميع الحمد لله على سلامتكم.

-أهلاً بك يا بكر هل الغداء جاهز؟

-نعم يا أبي، الغداء جاهز في مكان جميل على البحر، هذه الأيام الأجواء في الحديدة ممتعة الغيوم تلطف الجو.

تحركنا لتناول طعام الغداء.

-بكر:

لقد جهزت لكم كمية من القات النظيف فأنا اعلم أنكم تخزنون في أوقات الراحة والإجازات، فلنتجه إلى إحدى الاستراحات لنصلي ثم نجلس سوياً، فقد اشتقنا لكم واشتقت لمغامراتك يا دكتور، هناك استراحة نظيفة على خط الكتيب فلنتجه إليها وأنا سأتصل لزميلي شعيب الزرنوقي رئيس اتحاد الطلاب يريد ان يتعرف على والدي وعليكم.

-هو رئيس الاتحاد وأنت امين عام الاتحاد أليس كذلك؟

-نعم يا ضياء.

-إذاً ستكون جلسةٌ ممتعة، أليس كذلك يا مهندس أحمد؟

-نعم انها فرصة لنتعرف على الوضع داخل مدينة الحديدة والمحافظة عموماً.

-بكر:

الناس هنا تتحدث بشكل يومي عن الانفجارات التي تذهب بأسر كاملة، الألغام في كل مكان، وكذلك الغام في البحر تهدد الصيادين عادةً ما تنفجر بهم في عرض البحر، وأراضٍ تنهب وقرى تهجر وتصادر مزارع واراضي أهلها، وافراد يتم تجنيدهم بالقوة ويساقون إلى جبهات الموت، المدينة أصبحت شبكة من الخنادق والأنفاق وحياة الناس أصبحت جحيم.

-ما هي معلوماتك التاريخية عن صراع أبناء تهامة يا خال؟

-السلاليون أصحاب ثارات قديمة مع أبناء تهامة عموماً وخصوصاً أبناء الزرانيق، لقد وصل الحوثيون إلى هذه البلاد وهم مشدودون بصراعات الماضي، لا توجد قبائل عانت من ظلم الائمة كقبائل الزرانيق، لقد نزلت جيوش الإمام يحيى حميد الدين، وواجهوها بكل بسالة وخاضوا مع تلك الجيوش معارك شرسة لسنوات، وحين سيطر الإمام نكل بهذه القبائل بلا رحمة واعتقل كل وجهاء ومشايخ الزرانيق والذي بلغ عددهم ثمانمائة وجيه وشيخ، وذهب بهم إلى سجونه في حجة، لم تمر سنة إلا وقد قتلهم

جميعاً، منهم من قتل بالسيف ومنهم من قتل بالسم.

ثأر أبناء تهامة من السلاليين كبير، واليوم ها هم يعاودن الكرة من جديد.

تلغيم البر والبحر ونهب الأراضي وتهجير الناس من قراهم والقتل والتجويع والسجون الممتلئة بالمختطفين، هذه الأرض في الماضي والحاضر تشبعت بدماء ابنائها وهم يستبسلون في الدفاع عنها لأنهم يعلمون بحقيقة هذا العدو.

-المهندس أحمد:

البلاد كلها منهوبة وتمر بمرحلة تاريخية صعبة تستدعي ان يقوم الناس للدفاع عن كرامتهم واعراضهم.

- المحامي نصر:

لا أدري ما هذا الخنوع والضعف الذي أصاب الناس!؟

-شعيب الزرنوقي:

نحن مستعدون لعمل ما يلزم لكن يحتاج الناس إلى دعم.

-ضياء:

اول ما يجب فعله يا شعيب هو ان ينظم الشباب نفسه، ويفكر

كيف نخرج من هذه النكبة وبالعزيمة والإصـــــرار والصـبر سننتصـــر، علينا ان نبدأ ولتكن البداية أن ننظم انفسنا ونستعد من داخلنا لمواجهة هذا الظلم، نحن أصحاب قضـــيةٍ عادلة الحق في صـفنا، ومهما كانت قوة الباطل فإنها تضـعف امام إصـــــرار اهل الحق، يجب ان نزرع في نفوس الناس التمرد على هذا الوضع وعدم الاســتســلام له، وهذا ما يجب أن تفكروا فيه انتم في قيادة الاتحاد الطلابي، كل الثورات والحركات إنما يقودها شـباب واعٍ خرجوا من رحم الحركـات الطلابيـة، نحن نعول على طلاب وطـالبـات الجامعات اليمنية ولابد ان تتكامل الجهود لصنع التغير، العسكري ببندقيته، والمدني بنضاله في الشارع والساحات، يجب إحياء الأمل في قلوب الناس، وهذه هي الخطوة الأولى، نحن مطالبون بأخذ الأسـباب والنتائج على الله، الخطأ ان نبقى سـلبيين بلا حركة ولا بذل للأسباب.

-المحامي نصر:

نهب أراضـــي تهامة وتهجير أهلها، ومن يدافع عن ارضه يقتل ويســجن، هـذه جرائم ينبغي ان يقفوا في وجههـا وان يوحـدوا صفوفهم لمواجهة هذا الغزو الإمامي الحوثي.

-شعيب الزرنوقي:

لقد أصبحت رحلة الصيادين الى البحر للصيد مغامرة وإن عادوا سالمين من الألغام البحرية تلقفهم الحوثيون كالكلاب المسعورة في ميناء الصيد ليشاركوهم في صيدهم، إنهم يريدون تحويل تهامة برها وبحرها إلى إقطاعيات تتبع جماعتهم، لكننا نعدكم اننا كقيادات طلابية سنضع الخطط والبرامج التي تستنهض همم الطلاب والمجتمع، فوسائل النضال كثيرة حتى نصل إلى مرحلة الثورة قريباً بإذن الله، لن يأتي أحد لتحرير اليمن مالم يتحرك كل أبنائها لتحريرها من هذه العصابة.

❖ ❖ ❖

وصلتني اخبار جديدة من سلمى.

-خيراً يا ضياء.

اعتصام لطلاب وطالبات جامعات صنعاء، يطالبون فيه بالإفراج عن زملائهم المختطفين وعبارات تكتب على الجدران (ارحل يا حوثي)، ومنشورات بأوراق صغيرة مبعثرة على أبواب وشارع الجامعة مكتوب فيها (ارحل يا حوثي) ولافتات قماشية مكتوب عليها، نرفض عسكرة الجامعة، نطالب بإطلاق زملائنا المختطفين، نرفض رفع رسوم التعليم الجامعي، نرفض القبول على أسس مناطقية وسلالية، وأخبار عن اختطافات جديدة لطلاب وطالبات والزج بهم في المعتقلات.

الناس لن تستسلم للظلم، وهذه القطرات ستتحول يوما إلى سيل جارف، نعم يا شعيب.

-شعيب الزرنوقي:

بامتداد الساحل الغربي الناس يعانون من الفقر الشديد والأمراض والأوبئة في ظل غياب العناية الصحية، فالكثير من المراكز الصحية قد توقفت فيها الخدمات، الناس تموت بأعداد ملفتة لا توجد أدنى مقومات الرعاية الصحية.

-خالي محمود:

ما يتم هو عمل منظم ومتعمد، إنه جزء من الثأر القديم على تهامة، وبما ان الحاضنة غير متقبلة لهذا الفكر فإن انتقامهم بتهامة سيتنوع.

-شعيب الزرنوقي:

غدا سنزور إحدى المزارع ونتغدى سوياً اعملوا حسابكم على هذا.

-ضياء:

لا نريد ان نشق عليك.

-لا توجد مشـقة، نحن سـعيدون بوجودكم بيننا، سـأكون في انتظـاركم، وبكر يعلم بـالمكـان، وخـذوا حـذركم لا تخرجوا عن الطريق الأسـفلتي لأن المنطقة مزروعة بالألغام وحوادث الألغام كثيرة.

❖ ❖ ❖

-صباح الخير يا بكر.

-أهلاً دكتور ضياء صباح الخير.

-ما رأيكم نذهب لزيارة ميناء الصـيد ونشـتري سـمكاً طازجا لوجبة الإفطار.

-وهو كذلك.

-ما هذا يا بكر؟ أرى جثثاً على هذا القارب إنها خمس جثث ما الأمر؟

-لاحول ولا قوة إلا بالله، سألت أحدهم قال:

إنـه لغم بحري انفجر في قـاربهم، وحوادث الألغـام البحريـة تتكرر دائماً، ولولا زملائهم من الصـيادين كانوا على مقربة منهم لما عـرف أحد بمصيرهم.

-ما هذه النكبة؟

-جرائم في البحر وجرائم في البر، وصـــدق الله حين قال (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس)، الغريب انه لا توجد دولة تهتم بمثل هؤلاء الذين يقتلون، ها أنت تنظر إلى مشـــــــرف الجماعة في الميناء لا يعير هذه الحادثة أية اهتمام، ولاهم له إلا كيف يشارك الصيادين أسماكهم التي حصلوا عليها بعد مشقة وتعب في البحر منذ أيام، ومن لم يدفع منهم يكون السجن والضـرب جزاءه، الناس يموتون كل يوم.

-لماذا لا يثور الناس وندفع ضـــــــريبة الحرية في يوم واحد أو أسبوع، بدلاً من دفع ضريبة الإذلال كل يوم؟

-الناس هنا يا ضياء تحتاج لقادة، والقادة غير موجودين.

-أنتم يا بكر عليكم ان توجدوا القادة، كلنا نتعاون لإيجاد هذا القائد.

-هيا لنفطر فالطاهي يقول إن الفطور جاهز.

-لم تعد لنا نفس بعد مشـــاهدتنا لجثث اولئك المســـاكين، ذهبوا للبحث عن رزق لأولادهم، ليعيشـوا في ظل هذه الوضـع البائس، نســـاءهم واطفالهم ينتظروا عودتهم على أحر من الجمر، فعادوا لهم

جثثاً هامدة، كانت الحديدة قبل خمس سنوات تنعم بالحياة والبهجة واليوم لا نرى إلا شعارات الموت وخنادق الموت وألغام الموت.

-هيا لنتجهز، هيا إلى بلاد الزرانيق، شعيب الزرنوقي في انتظارنا.

❖ ❖ ❖

اتجهنا إلى بلاد الزرانيق، شاهدنا مصانع قد احترقت، ومجمعاً صناعياً لإخوان ثابت تم حرقه وتدميره.

مررنا بإحدى النقاط العسكرية، أوقفنا المسلح وطلب منا الوثائق، وتوقفنا ساعة من الزمن، شاهدنا فيها عجائب! قاطرات محملة بالبضائع لا تمر إلا بعد أخذ مبالغ مالية، عوائل يتم تجنيبها لبعض الوقت قد تصل إلى ساعة وأكثر، سيارات محملة بالقات من عليها نراهم يخزنون من وقت الصباح، نراها تدخل الحديدة يأخذون منهم ضرائب واصحابها يقولون انتم تطلبون منا ضرائب في كل نقطة وفي السوق ضرائب أيضا هذا لا يجوز.

اعادوا إلينا وثائقنا وغادرنا النقطة، وصلنا إلى بلاد الزرانيق عند الساعة الخامسة صباحاً، كان شعيب الزرنوقي في انتظارنا، ذهبنا لزيارة مزرعة النخيل والتقينا والد شعيب، وهو أحد مشائخ

الزرانيق، له هيبة ووقار، وشـخصـية يقدرها الجميع، قد اعتزل الحياة السـياسـية بعد دخول الحوثي، رأينا آثار الدمار في مزرعته الكبيرة، وشـرح لنا كيف يحاول الحوثيون أخذها ومصادرتها كبقية المزارع التي رحل عنها أصـحابها وهاجروا إلى عدن، وإلى مارب، وإلى أرض الشـتات، راينا كثيراً من المزارع مات فيها النخيل بعد دخول الجماعة، وكأن شـجرة النخيل تلك الشـجرة الطيبة التي اصـلها ثابت وفرعها في السـماء عافت الحياة في ظل هذه الجماعة ففضلت الموت على البقاء بعد رحيل أهلها الحقيقيين، إنها شجرة لا تطيق اللصـوص، مزارع النخيل تموت كما ماتت مزرعة الأبقار الكبيرة التي تمثل ثروه وطنية، حوت مئات الأبقار والجواميس، لقد نفق الكثير منها بقذائف المدفعية وعيارات الرشـاشـات، وما تبقى سـرقه الحوثيون وذهبوا به إلى مناطقهم والبعض منها باعوه بثمن بخس ليخزنوا القات بأثمانها.

هنا الجماعة تحتكر الديزل والبترول القادم من ميناء الحديدة بعد تفريغه من البواخر، ولا تحظى هذه المناطق الا بالقليل القادم من السوق السوداء بأثمان باهضة لا يقدر الكثير على دفعها كما ذكر لنا شعيب الزرنوقي.

حضـر جمع كثير من الناس في ضـيافة الشـيخ أبي شعيب

الزرنوقي، لقد رحب بالجميع وسعد بمجيئ الجميع لتناول الغداء.

المجتمع هنا بسيط وقلوبهم طيبة يحترمون الشيخ، والشيخ يبادلهم هذا الاحترام، إنه يحث الجميع على الصبر والأخوة والترابط، وأن يبتعدوا عن الذين يريدون تفريقهم وبث الخصومة فيما بينهم وكأنه يلمح للحوثيين، وحثهم أن يدعوا الله بأن يصلح شأن اليمنيين، ويزيل عنهم هذه الغمه التي تعاني منها البلاد ثم تناولنا طعام الغداء.

تفاجأ الجميع بقدوم أطقم عليها مسلحون لا يبدو عليهم أنهم من أبناء تهامة فلهجة أبناء تهامة معروفة، من الواضح أن لهجتهم من بلاد صعده وحجه والمشرف عليهم من صعده واضح من لهجته.

المشرف كعادته في الثقالة وقلة الحياء يقول:

- الله المستعان يا شيخ ونحن موجودون عندك في القرية، ولا تعزمنا على الغداء؟

-الشيخ:

يصعر خده عن المشرف ويقول نحن أبناء تهامة لا نرحب إلا بالضيف الذي ترغبه نفوسنا، وأنتم تعلمون جيداً انكم ضيوف غير مرحب بكم في هذه البلاد.

- أو ليست هذه بلادنا؟ نحن جميع يمنيون.

-هذه البلاد بلاد كل اليمنيين الذين يأتون لإحيائها، وليست بلاد من أتوا لإماتتها وتدميرها، فلا تطل، وماذا تريد؟

-وصلتنا معلومات أن غرباء نزلوا ضيوفاً عندك، فجئنا نتعرف عليهم.

-ليسوا غرباء، هؤلاء ضيوفي قادمون من صنعاء جاءوا لزيارتنا، هل في هذا مشكلة؟

-نعم مشكلة، لأنه لا يصح ان يدخل القرية غرباء دون أن نعلم.

-ومتى كنا نستأذن من الدولة في إكرام من يفد إلينا.

-عند مغادرة ضيوفكم القرية عليهم زيارتنا إلى القسم.

-لا بأس لا تقلق.

غادر المشرف الأمني ومسلحوه، وتوجه الشيخ أبو شعيب الزرنوقي والحاضرون جميعاً إلى مجلس المقيل، وهو يقول لأحد عماله اذهب وادعُ من تأخر عن الغداء لحضور المقيل.

دخل الجميع إلى الاســتراحة، وهي اســتراحة جميلة على الهواء تتسع للكثير من الناس.

أجد عندي رغبة أن أتحدث للحاضـــــرين من أبناء الزرانيق، استأذنت الشيخ وألقيت كلمة قلت فيها:

يا أبناء الزرانيق إن تاريخ قبيلتكم زاخراً بالأمجاد فلا يجاريكم أحد في ما قدمتموه لدينكم وامتكم، فجدكم أبو موسى الأشعـري وعشــرون صحابياً صحبوا رسول الله وأول شهداء بدر كان منكم وأربعة آلاف من أجدادكم العكيين من "عك" هم الذين فتح بهم القائد المسلم عمرو بن العاص بلاد مصـــر فحق لكم أن تفاخروا بهذا التاريخ.

جاءت الإمامة في الماضـــي والحاضـــر فخضتم في مواجهتها أشــرس المعارك في بلاد اليمن، فلا يوجد بيت من بيوتكم إلا وفيه شهيد قضى وهو يدافع عن هذه الأرض، ضد من جاء ليذل أبناءها ويجعل ارضـكم إقطاعية له فكســـرتم جيوشـهم، حتى تكالبت عليكم كل كلابهم وابيتم الاسـتسـلام عامين من القتال والحصـار وعلى تراب هذه الأرض، قتل منكم يحيى حميد الدين وابنه أحمد الف رجل من آبائكم استشـهدوا وهم واقفين على اقدامهم ليرووا تراب هـذه الأرض، ثم لم يكتفوا بما قتلوا بـل اخـذوا وجهـاءكم

ومشائخكم أسرى وذهبوا بهم إلى سجونهم في حجة، فلم يمضي عليهم العام إلا وقد قتلوا جميعا بالسيف أو السم، وهاهم اليوم قد عادوا من جديد في جولة أخرى من جولات الصراع.

ما أنصحكم به هو أن لا تستسلموا وأن تحافظوا على وحدتكم وأخوتكم من الاختراق، وأن تعلموا أن تطهير الأرض من الغزاة الذين يحتلونها، يسبقه تطهير العقول من أفكارهم ومعتقداتهم، وسيأتي اليوم الذي ننتصر فيه ونلتقي جميعاً في صنعاء.

شكرناهم على كرم الضيافة وشكرنا الشيخ أبا شعيب الزرنوقي، وعلى أن تبقى قبائل الزرانيق هي ملهمة الثورة وقبلتهم.

قام الجميع بمرافقتنا وكذلك الشيخ، ولا شك أن الشيخ أبا شعيب مدرك لما سوف يقوم به الحوثيون من حماقات في نقطة التفتيش التابعة لهم، بعد أن أُهين المشرف في بيت الشيخ، حاول المشرف منعهم من المرور وقام بإطلاق النار على الموكب، وبسرعة البرق أمر الشيخ أصحابه بالانتشار وتطويق المكان، سرعان ما جاءت الأوامر بعد ذلك للمشرف بفتح الطريق والاعتذار للشيخ، رفض الشيخ قبول الاعتذار وتوعد المشرف بالتأديب، ثم ودعنا بعد عشرة كيلو من المرافقة، واستمر معنا شعيب الزرنوقي وعدنا إلى مدينة الحديدة.

❖ ❖ ❖

بكر وشـعيب الزرنوقي بعد أن وصـلنا إلى الفندق طلبوا منا الذهاب لتحضـير فعالية طلابية ليوم غدٍ.

انطلقنا الصـباح بسـيارتي ودخلنا جامعة الحديدة لحضـور الفعالية وتركنا خالي محمود في الفندق، فقد كان متعباً، شـاهدنا الطلاب والطالبات يتوافدون من مختلف الكليات، رغم ان الجماعة قد أصـدرت قراراً بحل الاتحاد الطلابي ومصـادرة مقره وممتلكاته إلا أن الاتحاد مازال يعمل والطلاب مازالوا يرفعون إشـارات الاتحاد ويتجاوبون لفعالياته المدافعة عن حقوق الطلاب، رُفعت اللافتات المعبرة عن رفضهم بما قامت به رئاسة الجامعة من استغناء عن دكاترة ومعيدين وإحلال بدلاً عنهم دكاترة ومعيدين سلاليين ليس لديهم الكفاءة والأهلية، فمؤهلاتهم العلمية حصـلوا عليها من إيران وجامعات مشبوهة.

الجميع في الفعالية يرددون شـعارات الرفض، ألحان أيوب طارش تعصـف بالمكان (اربعينياتنا فيها رفضـنا، وضـحى سـبتمبر فيه رفضنا، ومدى السبعين يوماً قد رفضنا، وسنمضـي رافضـين، ضد من جاء لكي يدجي ضحانا) الكل يردد نشيد الرفض وصدى أصواتهم في كل مكان، إنه يوم ثوري بامتياز الكل متحمس.

رئيس الاتحاد شعيب الزرنوقي يلقي كلمة حماسية فحواها أن التعليم حق للجميع وحق التعيين للجميع بحسب الكفاءة والأهلية، لن نقبل باستبدال من تعلمنا على أيديهم، بآخرين تم تعينهم على خلفية سلالية، نحن هنا كلنا ساده وكلنا يمنيون ولن نتنازل عن مكتسبات ناضل الشعب من اجلها وقدم التضحيات من اجل دولة العدالة والمساواة، وليس دولة المذهب والسلالة العنصرية.

طلب مني رئيس الاتحاد التحدث فانتهزتها فرصة فقمت وألقيت كلمة قلت فيها:

أيها الأحرار تعلمون ان اعظم كارثة حلت بهذا الشعب هو سقوط الدولة وذهاب مؤسساتها، وحلت بدلاً عنها عصابات مليشاوية تدعي لنفسها الولاية على الناس، وفق نظرية الحق الإلهي في الحكم، وبهذا فقد ذبحت الدستور والقانون من الوريد الى الوريد، واستبدلت عنهما قواعد متخلفة، ما يجب ان تعلموه أن مسيرة نضالكم لا يجب أن تقتصر على رفضكم لقرار الاستغناء عن أساتذتكم في الجامعة فقط، فمسيرة نضالكم طويلة لن تتوقف حتى استعادة الدولة، لن يسقط هذا العبث وهذا الظلم وتستعيدوا مستقبلكم إلا بالنضال والكفاح بكل انواعه واشكاله، وأن توطنوا

أنفسكم على ذلك بكل صبر وعزيمة وأن تستلهموا من الأحرار والشهداء نضالهم وصبرهم عبر مسيرة النضال الوطني، ولتكن هذه الفعالية اول محطات النضال، لا تستسلموا لهذه القرارات، ويجب ان تسقط تحت اقدامكم، ولن تسقط إلا إذا كنتم يداً واحدة، وكلمتكم واحدة، وصفكم واحد.

الجميع يردد بقوة شعارات (نحن الطلاب الأحرار...لن يمضي هذا القرار)

(لا تراجع لا استسلام...لن يرجع عهد الظلام) (بالروح بالدم نفديك يا يمن).

أصوات الطلاب والطالبات تهز المكان.

أطقم عليها مسلحون تحاول اقتحام مكان الفعالية.

شعيب الزرنوقي:

هذا رئيس الجامعة المعين قريباً، وهو سلالي حاقد يصر على تنفيذ قراره، هو من جلب هذه الأطقم.

الطلاب يشكلون سداً منيعاً امام الأطقم.

الأطقم تحاول ان تقتحم المكان حتى ولو على أجساد الطلاب، أمواج الطلاب تملأ المكان، المسلحون يطلقون النار كي يتفرق

الطلاب، الطلاب يقتحمون الأطقم ويعتلونها ويشتبكون بالأيدي مع المسلحين، هناك إصابات من الطلاب إحداها خطيرة، بعضهم قد سلب المسلحين بنادقهم، إنه يوم ثوري بامتياز، معظم السلاح صار بأيدي الطلاب، اراهم يضربون المسلحين بأعقاب البنادق وخصوصا بعد أن شاهدوا إصابات في زملائهم، الطلاب يفتحون أبواب الأطقم ويخرجون منها السائقين، الاطقم صارت بأيدي الطلاب، هناك مسلحون حوثيون قد تم اعتقالهم وتقييدهم بالمشدات التي على رؤوسهم وقد تم حشرهم في إحدى القاعات الدراسية.

رئيس الاتحاد يدفعني للخروج والعودة للفندق، قلت له لن أبرح المكان فأنا واحد منكم.

رئاسة الجامعة تنزل إلى المكان، الوضع يزداد توتراً والطلاب عازمون على إلغاء القرارات التعسفية، في هذه الأثناء رئيس الجامعة بأساليبه الماكرة يعدهم بإلغاء القرار، والطلاب يصرون أن يصدر قراراً جديداً مكتوباً، يتراجع فيه عن قراره السابق.

رئيس الاتحاد يقوم بقراءة القرار الجديد الذي يقضي بإلغاء قرار التعيينات الجديدة، وبعودة من تم الاستغناء عنهم.

تم إطلاق المسلحين واطقمهم، مقابل أن يعالج المصابون على حساب الجامعة.

إن اللصوص أعجز ما يكون امام إصرار الجماهير الواعية والصامدة، وأن القوة الغاشمة تضعف امام الجماهير التي أجمعت امرها وتوحدت كلمتها وصحت صفوفها وأمّنتها من الاختراق.

والشعب لو كان حياً ما استخف به يوماً.. ولا عاث فيه الظالم النهم.

غادر الطلاب المكان، وغادرت أنا ورئيس الاتحاد وطلبت منه أن يتواصل بزملائه من القيادات الطلابية بان يكونوا على حذر فستقوم مليشيات الحوثي بالمداهمة لمنازلهم، ومحاولة القبض عليهم، وعليهم أن لا يعودوا الى منازلهم، رأيت المسلحين وهم يغادرون المكان ورؤوسهم منكسة ذليلة، لا يقف امام القوة إلا القوة ولا يفل الحديد إلا الحديد، وجماعة الحوثي أضعف مما نتصور، لابد من إحياء مبدأ التمرد على هذا الواقع المرير في كل مكان.

بعد يومين الأمن يعتقل رئيس الإتحاد شـعيب الزرنوقي وثلاثة من القيادة الطلابية من امام بوابة الجامعة.

الطلاب يتجمعون ويصدرون بياناً يندد بحوادث الاختطافات، ويهدد بالإضـــــراب وإغلاق الجامعة في حالة عدم الإفراج عن المختطفين، انا والمحامي نصـــــر، والمهندس أحمد نشارك الطلاب اعتصامهم امام مقر شـرطة المحافظة.

قبائل الزرانيق بقيادة الشـــيخ أبي شعيب الزرنوقي يتجهون إلى إدارة شـرطة المحافظة.

مدير امن الحديدة يبدو عليه أن الأمر ليس بيديه، وأنه لا يقدم ولا يؤخر في شـــيء، وأن الأمر يخص مشـــرف المحافظة "أبو طه " فهو الحاكم الفعلي لمحافظة الحديدة، ومســـمى محافظ ومدير امن تغطيـة فقط على أعمال المشـــــرفين، والعجيب أن قوات الأمن والمسلحين أداة بيد المشـرفين وناهبي الأراضـي، وحتى إدارة الميناء لا تملك من الأمر شـــــيء، مشـــــرف الميناء هو الذي يتحكم في الإيرادات.

حتى مؤسـســـة الكهرباء لم تعد كما كانت ملكاً للدولة بل صـــارت ملكـاً لأشـــخاص متنفـذين من الجماعـة هم الـذين

يمتلكون مولدات الكهرباء، وهذا حال كل المدن تحت سيطرة الحوثي، إنها أشبه بعصابات وليست دولة.

الشيخ أبو شعيب الزرنوقي يتجه إلى مقر المشرف ويهدد بتفجير الوضع إن لم يتم إطلاق صراح شعيب وزملائه، قبائل الزرانيق مازالت تتوافد، لم يعد الأمر يقتصر بالمطالبة بإطلاق المختطفين بل برفع الظلم عن أبناء الحديدة من نهب اراضيهم ونهب الصيادين والمطالبة برفع الألغام البرية والبحرية، وانا جنباً الى جنب مع الشيخ أبي" شعيب الزرنوقي".

أبناء الزرانيق يصعدون ويرفعون شعار الثورة ضد التواجد الحوثي في الحديدة، والسفير البريطاني يتواصل بالمشرف الحوثي ويوجهه بإطلاق المختطفين فوراً وتهدئة الأوضاع خوفا من تفاقم الوضع وخروجه عن السيطرة، المشرف يستجيب لتوجيهات السفير البريطاني ومنظمة بريطانية تتواصل بالشيخ الزرنوقي بتغطية مناطق الزرانيق بالإغاثة والدعم الإنساني.

إن بريطانيا والغرب عموماً يخشون أن يثور الشعب اليمني ضد هذه الجماعة لأن الغرب وإيران هم من صنعوها لتكون أداة لهم لتدمير اليمن.

اعين الحوثيين وجواسيسهم تراقب كل شي ولاسيما صعدة، أهم أوكارهم، وما تقوم به أمل في تلك القرى القريبة من مدينة صعدة يقلقهم ويثير انزعاجهم، هم لا يقارعون خصومهم بالحجة أو المنطق، وسيلتهم دائما هو القمع والعنف، لقد علموا إنها ابنة أحد قيادات الجماعة، فقام مشرف المحافظة بالتواصل بوالدها مباشرة وإنزال اللوم عليه فماذا كان ردة فعله:

-لقد سودت بوجهي هذه البنت تتحداني وأنا هاشم شرف المراني، الذي لا يستطيع أحد أن يقف أمامه، أنا من يهابه الجميع حتى قادة المسيرة، وأنا صاحب الكلمة المسموعة عند سيدي عبد الملك، تأتي أبنتي وتكسر هيبتي، وتنكس رأسي! لا، لن يكون ذلك، سأريك يا أمل.

-أم مرتضى:

ما الأمر، ماذا فعلت؟

-تواصل بي مشرف محافظة صعدة بأنها تحرض ضد المسيرة، وقامت بتجميع النساء وتحرضهن على عدم الدفع بأبنائهن

للجبهات، إنها تحاربني أنا قبل أن تحارب المسيرة، إذا لم أقم بتأديبها فهيبتي سوف تسقط عند الجميع، سأتخلص منها بطريقتي ما الفائدة منها؟ هذه البنت لا أُطيقها ولا أطيق بقاءها، لم يعد ينفع معها الضرب

أبو حرب سيتزوجها بعد أن تعود من صعدة، وسيحبسها في بيته ويقيدها بالحبال إن لزم الأمر، وأسلم شرها.

-هذا أبي يا أمي يتصل، الله أعلم ماذا يريد!؟

-أجيبيه.

-نعم يا أبي.

-ما تقومين به من تحريض وتشجيع النساء للتمرد على المسيرة وعدم الدفع بأبنائهن للجبهات، أنتِ بهذا الفعل تحاربينني أنا قبل أن تحاربي قائد المسيرة، وتتمردين عليَّ قبل أن تتمردي على جماعتنا، عقابك سيكون أليماً.

-أنا جاهزة للعقاب لا تقلق حتى إن أردت أن تقتلني فأنا أتوق للشهادة.

-وهو يرفع صوته بشكل هستيري، سأقتلك يا أمل سأقتلك.

أم مرتضى وهي تتناول غصن القات وتضعه في فمها، تقول:

-ما الذي يجعل هذه البنت تستهين بالعقاب وتستهين بالموت، إنها لا تخاف شيء.

❖ ❖ ❖

وفي منتصف تلك الليلة، رن جرس الهاتف الخاص بأختي سلمى.

-من هذا الذي يتصل في هذه الساعة من الليل؟

-إنها أمل يا أمي، نعم أمل كيف حالك؟

-أهلا سلمى، أنا أتألم من الحصوات وأنا قادمة من صعدة غداً إليكم، أبلغي ضياء بذلك لنلتقي في المستوصف.

-تصلين بالسلامة سوف أخبره وسنكون بانتظارك.

-وصلنا صنعاء بعد معاناة من الألم، واتجهت أنا وأمي إلى المستوصف وكان ضياء في استقبالنا.

-دكتور ضياء، إنني أتألم أشد من ذي قبل.

-لا تقلقي سنفعل ما يلزم من الفحوصات والكشافة وغيره.

-خيراً يا دكتور.

-أمل تحتاج لنقلها للمستشفى العام، وإجراء عملية سريعة،

سـأتولى نقلها وإدخالها غرفة العمليات، وأنا من سـيجري لها العملية.

آه يا هاشم ما أقسى قلبك على ابنتك!

-ماذا قال يا أمي؟

-قال سـيبلغ أبا حرب هو موجود هنا في المستشفى لاستقبالنا والتوقيع على العملية وسـيتكفل بدفع أجور العملية، نحن في غنى عنهم جميعا، لقد زودنا خالك بالمال الكافي.

-الموت يا أمي أحب إليَّ من أن أرى أمامي أبا حرب، أنتِ من سيوقع على العملية.

-قام الدكتور ضـياء باللازم، وأجرى العملية، ولله الحمد، حضـر أبو حرب وأمل في غرفة العمليات، وأخبرته أننا في غنى عنه، لقد قام الدكتور ضـياء باللازم، فنحن لا نثق إلا به، وهو من يعالجها منذ أشهر، ثم قال:

-وما سـر هذا الاهتمام، وكيف يجري العملية بدون توقيع ولي أمرها؟

-لو كان لها ولي أمر لكان في اسـتقبالها، وقد أبلغناه ونحن في الطريق، أنا والدكتور أولياء أمرها لا شأن لكم بها.

-سنرى يا أمل أنا أو الدكتور ضياء.

-الحمد لله يا أم أمل تمت العملية بنجاح، ولا قلق على حالتها ستبقى في المستشفى ثلاثة أيام وسأشرف عليها بنفسي.

-لا أدري كيف أشكرك يا دكتور فلولاك بعد الله لما كانت أمل على ما يرام.

-خالتي كيف أمل الآن، لا تقلقي يا رشا أمل بخير وستخرج الآن إلى غرفة الرقود، في الموقف الذي يجب أن يحضر فيه أبوها وإخوتها تحضر فيه النساء، بارك الله فيك يا ابنتي وأدام الله أخوتكن لبعضكن.

❖ ❖ ❖

بإمكانك اليوم أن تخرجي فحالتك لا بأس بها سأكتب لكِ التصريح بالخروج بعد الظهر، أبقي معها يا رشا أنتِ وسلمى.

-لن نفارقها، وبقينا معها حتى عاد الدكتور بعد الظهر، لكن لم يحضر من اقربائها أحد.

-دكتور ضياء، هل بالإمكان أن تقوم بتوصيل أمل إلى البيت، لقد تواصلت بابي وإخوتي لكنهم لا يجيبون.

-نعم هذا يسعدني.

-كم أنا سعيدة بكم، أنتم أهلي الحقيقيون، ماذا لو لم تكونوا موجودين أو لم التقِ بكم من قبل، الحمد لله أن التقيت بكم وتعرفت عليكم وجعلنا إخوة في طريق الحق.

-لا تقلقي يا أمل، سلمى سوف تزورك كل يوم.

-ها قد وصلنا البيت يا ضياء مع علمي أن الوضع غير مطمئن لكن سنتواصل، نستودعكم الله.

إن حدث شيء فتواصلي بي وسوف احضر.

-ما هذا الضجيج يا رشا داخل البيت؟ ولماذا يرفعون أصواتهم؟ أشاهد أبي يضرب أخي شرف وخالتي تدافع عنه.

-لا تهتمي بهم أنتِ ادخلي ارتاحي وأنا سأنظر ما الأمر!

-أمل لقد جهزت لك المكان يا بنيتي.

-أمي لماذا هذه الأصوات المرتفعة؟ ولماذا جارتنا تبكي وتصيح وأبي يضرب شرف؟

-دائماً هم بيت الفضائح، إنها نفس فضيحة أخوك مرتضى، في العام الماضي حينما تم القبض عليه مع إحدى الساقطات وهو يمارس معها الرذيلة داخل السيارة، واليوم شرف يتجرأ ويدخل بيت جارتنا التي قتل زوجها في إحدى المعارك وهو يقاتل مع

الحوثيين، ويتسلل إلى غرفة أبنتها ويريد اغتصابها!!، ما هذا الوفاء!! وأبوك يريد إسكاتها بمبلغ من المال وهي ترفض.

-إنهم يستقوون على الناس بقوة وسطوة أبي ومكانته في الهرم القيادي لجماعة الحوثي، سيرسل كلبه أبا حرب لتهديدها وإرغامها بقبول مبلغ من المال وتسكت، هذه أخلاق مسيرتهم القرآنية هنا وفي كل البلاد، وهؤلاء من يسمون أنفسهم بالمجاهدين كلها فضائح أخلاقية ولصوصية ونهب وقتل، ماذا ينتظر الشعب من عصابة هذه أخلاقها.

آه يا ضياء، هل يشرفك وأنت النقي الطاهر أن يكونوا هؤلاء هم أصهارك!؟

ستتعب معهم كثيراً أيها الغالي.

أراك تتحدثين إلى نفسك يا أمل، خيرا ما الذي يشغل بالك؟

-أُحب ضياء يا رشا، أحبه من كل قلبي، لكن لا يشرفه أن يكون إخوتي أصهاراً له ولا يشرفه أن يكون أبي عماً له، سوف احاول أن أقنعه أن لا يقترب منهم.

- لا تفكري في هذا الأمر، فإذا صرتِ زوجة له فاقطعي صلتك بهم.

-أخبرتني سلمى أن ضـياء سـيأتي بعد أن أتعافى، ليطلبني من أبي، مع علمي أنه لن يقبل به، فهو دائما ما يعد أبا حرب بإن أكون زوجته الثانية، لكن هذا لن يكون.

-ها هو أبو حرب وصل، سأذهب وأرى ما الأمر، وما سـيدور بينهما.

-أبو حرب، اسـتدعيتك من أجل أمرين، الأول خذ هذا المبلغ، واذهب به إلى جارتنا، وقلها حذارِ أن تحدث أحداً بما جرى من شـرف نحو ابنتها.

-اعتبر هذا الأمر منتهياً أنا سأعالج هذ الأمر بطريقتي معها.

-والأمر الثاني، غداً تأتي بالمأذون ليتم عقد قرانك بأمل، والزواج بعد أسبوعين، بعد أن تتماثل للشفاء.

-عمي ما سر اهتمام الدكتور ضياء بأمل؟

-ومن هذا الدكتور ضياء؟

-الطبيب الذي يعالجها في مستوصفه الخاص، والذي أجرى لها العملية وكل هذا بدون مقابل.

-سأنظر في هذ الأمر، أنت أذهب ونفذ ما أمرتك به.

وهو يحدث نفسه:

عقابي لها هي أن تتزوج أبا حرب، وأن يحبسها بعد ذلك في بيته.

-عدت إلى أمل لأخبرها بما دار بينهما.

-لا تقلقي يا رشا سترين غداً حين يأتي المأذون ما أفعل.

❖ ❖ ❖

-تفاجأت بصوت أبي حرب يقول:

دكتور ضـياء، انظر في حال هؤلاء المرضى وأرفق بهم، كما ترفق بالآخرين وتتفانى من أجلهم.

-نحن نرفق بالجميع ونتفانى لأجل الجميع، وأنت يا أبا حرب يجب أن تكون آخر من يتحدث عن الرفق والرحمة.

- وهو يضحك في مكر وحقد:

هههه لن أجيبك فأنا مشـغول، فسـأذهب لإحضـار المأذون فموعد عقد زواجي بأمل هو اليوم، وعمي في انتظاري هههههه.

-كنت على علم بهذا الأمر من أمل فقد أخبرتني بالأمس.

تقول أمل:

دخل أبو حرب والمأذون البيت كما أخبرتني أختي رشـا وكان

أبي في انتظارهم، لكنني لم أمهلهم، اقتحمت عليهم مجلسهم وأنا مستعدة للموت وأنا أقول:

ماذا تريد أن تفعل يا أبي؟ ومن هذا؟ من أنت؟

إن كنت أنت المأذون فاخرج، واسمعوا جميعا أنا رافضة أن أتزوج بهذا الصعلوك، والزواج لا يتم إلا بالقبول وأنا لن أقبل به، وقلتها لكم مرارا الموت أحب اليَّ من أن أكون زوجة له، أنا إنسانة لي كرامة ولست بهيمة تقودونها حيث شئتم، ويكفي يا أبي ما فعلته معي بتزويجك لي وأنا طفلة، لقد كبرت ولن أتزوج إلا بمن يهواه قلبي.

أبو حرب:

ما هذا يا عم هاشم؟ إلى هذا الحد؟

أبي بصوت مرتفع وهيستيري:

-ستموتين اليوم، واستل جنبيته من مكانها ويريد أن يغرسها في جسدي، وأنا واقفة وأقول له أطعني هيا، لولا أن تدخل المأذون ومسك به، وهو يقول العقد لا يكون صحيحا إلا برضى الطرفين وإلا فهو باطل، وهذه البنت غير راضية ولا يجوز لكما إجبارها على هذا الزواج، وخرجت من المجلس، ولم يلبث المأذون أن خرج

بعدي، لحقني أبي إلى غرفتي وكنت في تلك اللحظة أحس بألم العملية الجراحية بسبب الانفعال، لكنه أخذ في ضربي دون رحمة أو شفقة وأمي تدفعه عني وتترجاه، وتذكره أنني مازلت مريضة، لقد أنقض عليا كوحش مفترس وهو يقول موتي هيا موتي، أخواتي رشا وذكرى مع أمي قمن بإنقاذي منه، أقسم أبي أن لا أبقى أنا وأمي في البيت، حاولت أختي الكبيرة ذكرى أن تؤثر عليه فهو في الغالب يستمع لها لكنه أصـــر وطردنا من البيت وأغلق الباب، لحقت بنا ذكرى ورشا إلى الشارع وبيد رشا هاتفي الخاص، كنا في حيرة أين نذهب، أشـارت ذكرى بأنها سـوف تجهز لنا غرفة عند إحدى صديقاتها، تذكرت سلمى قمت بالتواصل معها فحضـــرت في الحال لأخذنا بسيارة ضياء فهي تجيد قيادة السيارة وذهبت بنا إلى منزلهم وعادت ذكرى ورشـا إلى البيت، لا يوجد مكان تطمئن له نفســـي إلا بيت ضـــياء وسلمى وأمها الطيبة، أحس أنهم هم الأقرب لي، كانت أمي قد أحضـــرت معها العلاج وصلنا البيت وقامت سلمى بإعطائي العلاج والمغذية وهي تسأل:

-أمل لماذا ابوك يعاملك هكذا؟

السـبب أنني لسـت معهم ولا أتبع مذهبهم وأفكارهم هذا هو السبب، لكن القضـــية التي نحملها ونجاهدهم لأجلها تستحق

مني أن أصبر وأتحمل، إنني أُحس براحة نفسية أنني أُعذب وأُضرب من اجل الله، من أجل الحق الذي نؤمن به، قالها شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل (ما عسى أعدائي أن يفعلوا بي، إن سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة)، لن نساوم أو نستسلم صراعنا مع السلاليين صراع وجود لا مجال فيه للتنازل أو الاستسلام.

أبي يريد إذلالي وإهانتي، وكذلك أبو حرب، والله لم يخلقنا لنُذل أو نُهان بل خلقنا أحراراً، لقد سلب السلاليون من بناتهم الهاشميات كرامتهن وآدميتهن، وسيأتي اليوم الذي يتمردن على هذه العادات والمعتقدات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وينتصرن لحقوقهن التي شرعها الله، هن عندهم مجرد أجساد ليس لهن الحق في الرأي في أبسط حقوقهن وهو القبول أو عدم القبول بشريك حياتها فكل المسلمين عند الله سواء، ليس هناك سيد وعبد، وشريفة ووضيعة، لقد قال رسولنا – صلى الله عليه وسلم: (من أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) كائناً من كان.

-أسأل الله لك العون والثبات يا أمل، طريقنا الذي أخترناه شاق وطويل ويحتاج منا الصبر وسيكون لنا النصر في النهاية ورضى الله في الاخرة – إن شاء الله.

❖ ❖ ❖

-أهلا بك يا أم أمل، أهلا بك يا أمل، أنا سعيد بوجودكما في بيتي.

-ونحن كذلك يا دكتور ضياء سعيدتان أن نكون معكم، سنبقى بضيافتكم هذه الليلة إلى الفجر وسنعود إلى صعدة، فقد وعدت أخي أن نعود إلى صعدة بعد أن تتماثل أمل بالشفاء.

- وما الذي يمنع أن تبقيا عندنا لأيام في ضيافة أمي وسلمى، وأنا سأنشغل بأعمالي في المستوصف ولي شقة ثانية في نفس المستوصف.

- نعم يا أم أمل سنكون سعداء بوجودكما معنا.

-أسعدك الله يا أم ضياء، أخي لن يسمح لي بذلك.

-كما تحبين.

-استسمح من الجميع، أُريد أن اتحدث مع أمل على انفراد.

كيف حالك وكيف العملية؟

- الحمد لله أصبحت ملتئمة تماما وأصبحت بخير، لكنها اليوم متأثرة بسبب ضرب أبي لي، سأتعافى بعون الله.

- غداً أو بعد غداً سأذهب إلى أبيك لأطلب يدك منه.

-لا أعتقد أن الوقت مناسب هذه الأيام، فما حصل اليوم بيني وبين أبي والمشرف أبي حرب في حضور المأذون لا يسمح أن يكون الوقت مناسبا، لقد وقفت أمامهم بكل تحدّ وأفسدت عليهم خطتهم، ما جعل أبي يضربني ويطردني وأمي من البيت، أبي لن يتقبل أي طلب في هذه الأجواء المشحونة، حينما يحين الوقت المناسب سأبلغك أن تتقدم.

- خيراً كما ترين أنتِ، وإن شاء الله سيجمع الله بيننا ولن يكون إلا خيراً، خذي هذا المبلغ لتدبير أمورك وارجو أن لا ترديه.

-لا يمكن خالي زودنا عند مجيئنا بالمال، وشكراً لك يا دكتور لا تحرجني.

-لا يمكن أن يرجع أقبلي من أخيك وحبيبك وهو يضحك بابتسامته الجميلة، سأكون سعيداً أن قبلتِ هذا المبلغ البسيط.

-دكتور ضياء سأكون قلقة عليك، أخاف عليك من غدر أبي حرب، ووالدي هاشم المراني لن يتركوك وشأنك، إذا كنت أنا سأتسبب في إيذائك فأرجو أن لا تهتم بأمري أنا سأتدبر نفسي، وأنت سيرزقك الله بامرأة أفضل وأحسن مني.

-أمل لا تقولي هذا الكلام أنت لن تكوني لأحد إلا لي أنا، قلبي لن يتقبل أحداً سواكِ، لن نكون إلا لبعضنا مهما كانت الصعاب، لن أتركِ لهم افهمي هذا.

-أبي لا يطيقني وسيتبرأ مني أنا أعرفه جيداً، طالما وأنا لا أعتقد ما يعتقدون ولا أُطيق افكارهم، ولا أخضع لما يريد من تزويجي بأبي حرب فلا أستبعد أن يتخلص مني، ولهذا فأنا لن أعود إلى بيت أبي مهما كان الأمر، طوال بقائي معهم وأنا في عذاب وضرب بشكل مستمر، إنهم ينظرون إلي نظرة عِدى، دائما يهم أن يطعنني بجنبيته، إن لم نكن لبعض ونجتمع فسأبقى عند خالي.

-لن يكون هذا يا أمل وأنا على قيد الحياة سنبذل كل الأسباب مع أبيك ما لم فسنهاجر جميعا والقاضي ولي من لا ولي له، أعاهدك بذلك أنني لن أتخلى عنكِ.

-وأنا أعاهدك أن لا أنظر إلى أحداً سواك وأن نمضي سويا على طريق الحق حتى نلقى الله، المهم أحذر على نفسك.

-إذا حدث أي جديد نتواصل بالوتساب فهو اكثر امانا من المكالمات، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.

-أستودعك الله يا ضياء الذي لا تضيع ودائعه.

هاشـم المراني وأبو حرب لن يتركوا أمل وشـأنها، وقد يتخلص منها ابوها حفاظاً على مكانته ومركزه، والأيام حبلى بالأحداث وكفيلة أن تكشف لنا ما يخططون ضد الجميع.

-أبو حرب هذه البنت يجب أن نتخلص منها، أينما اتجهت وهي تحرض ضد السـيد وضد المسـيرة، إنها لا تخشى أحداً تتحداني وتتحدى الجميع، لقد تواصل بي مشـرف محافظة صعدة وشـرح لي كيف حرضـت النسـاء في العديد من القرى خلال أياما قليلة، ولها تواصـل هنا في صـنعاء بكثير من بنات عترتنا الطاهرة، إنها تسـمم عقولهن بأفكارها وكأنها إحدى خريجات جامعة الإيمان.

القيادة سـتضـع حولي علامة حمراء، لن تثق بي إذا لم أكبح جماح هذه البنت وأضـع لها حداً، ثم لا أدري من أين لها هذا العلم وهذه الثقافة، لم تكن هكذا قبل أشهر قليلة، أصبحت لا تطيق مذهبنا ولا كلامنا ولا حتى كلام السيد ومحاضـراته.

-هذه كلها أفكار ضـيـاء، هو من أثر عليها يا عمي وأثر على

جميع الأطباء والعاملين، ولا ينفذون إلا تعليماته، هو شخصية غير عادية، أنا في صراع معه دائما، ولولا حاجتنا له في المستشفى لعلاج الجرحى لتم اعتقاله من وقت مبكر.

-مثل هؤلاء يجب تطهير البلاد منهم، وإلا فلا مستقبل لدولتنا، لا يجب أن نكرر الخطأ، فأفكار الزبيري والنعمان والمحلوي والمطاع هي من أطاحت بدولة بيت حميد الدين، ضياء وأمثاله إن لم نستطع ترويضهم بالإغراءات فيجب أن نقضي عليهم.

-وبماذا ستغري هذا ضياء؟

-قلي يا أبا حرب هل هو متزوج؟

-ولماذا هذا السؤال يا عمي؟

- أنا أسألك وأنت تجيب فقط، أنت لا تفكر إلا بين قدميك.

-كان متزوجاً وماتت امرأته في حادث سير، وهو الآن بلا زوجة.

-مثل هذه الشخصيات المؤثرة يا أبا حرب يجب أن نقوم بترويضهم وتركيعهم، فقتلهم او اعتقالهم سيثير الناس وقد يكون تأثيرها عكسي علينا، لكن يجب أن نحتويهم وذلك بتزويجهم ببناتنا المتميزات بالذكاء والجمال، فكم من قيادات وشخصيات

اجتماعية وسياسية وعسكرية أصبحوا خاتماً في أصابعنا روضناهم بهذا الأسلوب فصاروا يعملون لنا.

– تريد أن تغري الدكتور ضـــياء؟ وهل ســـيجدي معه هذا الأسلوب؟

– أريد منك أن تتصـالح معه وتتقرب منه، وتغريه بالزواج من أســـرة كريمة، مثل هذه الشخصية الهامة كضـــياء، سنغريه بابنتي الذكية الدكتورة ذكرى، هي إحدى خريجات كلية الصيدلة في العام الماضي، وعملها قريب من عمله كطبيب.

– عمي كم أنت داهية، لو رأى ذكرى فلن يتردد، ولكن، بناتنا يا عم شـرائف ولا يصح تزويجهن ممن هو أقل منا شـرفاً ومكانة، وكيف يعتلي على الشريفة الهاشمية الطاهرة هذا الناصبي الخبيث.

–أحيانا يا أبا حرب الســياسة وخدمة مذهبنا ودولتنا تستدعي ذلك، فاعمل ما أقوله لك.

–أنا على يقين من أن ذكرى ســتقوم بهذا الدور وســتجعل منه أحد المتعاونين معنا، وســأقوم بتعيينها كمشـــــرفة على صـيدلية المستشفى، مما يمكن لضياء ولها التعرف على بعضهم.

–وهو كذلك بدأت تفكر بشكل سليم، فلتبدأ عملها من الغد،

وأنا سأبلغها بأمر تعيينك لها وأنك ستكون في استقبالها غدا.

❖ ❖ ❖

صباح الخير دكتور ضياء كيف حالك؟

-من أبو حرب، الحمد الله.

-دكتور ضـــياء حينما تنتهي من معاينة المرضى أريد أن أتحدث إليك يا صديقي.

-معي أنا، ما المناسبة!؟

-نعم معك أنت، كي أعتذر لك عن كلما بدر مني، فأنت رجل ذو أخلاق، وأنسان شــريف، وتستحق كل خير، سأعود إليك بعد أن تفرغ من معاينة المرضى.

-خير وهو كذلك، عجيب ما الذي جعل أبا حرب يلاطفني هذه الملاطفة، ويكلمني بأدب؟ سنرى.

بعد أن أنهيت معاينتي للمرضى، التقيت بأبي حرب في بوفية الأطباء، ثم خرجنا نتجول في حديقة المستشفى:

أبو حرب

أولاً أتقدم لك بجزيل الشكر لاهتمامك بابنة عمي أمل، وأحب

أن أنقل لك شـكر أبيها وتحياته، عمي أبو هاشـم المراني أحد قادة الجماعة، كثرة انشغاله منعته من زيارة ابنته للمستشفى، وسـيأتي لزيارتك حينما تسـمح له ظروف عمله، حدثته عنك وعن جهودك التي تبذلها في العناية بالمرضى وبابنته أمل، هو يحب الناس الوطنيين الذين يخدمون الناس، وأنت في مقدمتهم يا دكتور، كما أحب أن أخبرك أن ابنة عمي الدكتورة ذكرى، أخت أمل الكبرى، وهي إحدى خريجات العام الماضـي، كلية الطب قسم الصيدلة، قد تم تعيينها للعمل في صيدلية المستشفى، ذكرت لي أنها تعرفك من أيام الدراسة في الجامعة وهي تثني عليك.

-شـكرا لك أبا حرب، ما قمت به هو من باب الواجب وما يمليه عليَّ ضـميري تجاه المرضى وتجاه أمل، كما أنني سـعيد بزيارة عمك هاشـم في أي وقت يحب، ويسـعدني تعيين إحدى خريجات الصيدلة، ويشرفني التعرف بها أتمنى لها التوفيق.

-إذا نلتقي غداً، وسنكون معاً في استقبال الدكتورة ذكرى.

-وهو كذلك.

أحدث نفسـي، عجيب أمرك يا أبا حرب ما سـر هذا التغير المفاجئ؟ لا شك أنهم يخططون لشـيء، لكن يجب أن أكون

على حذر، وقد أستفيد من هذا التقارب حين أنوي الذهاب لخطبة أمل، لعل في هذا الأمر خيراً.

❖ ❖ ❖

في صباح يوم جديد، جاء أبو حرب إلى المستشفى مبكراً على غير عادته، وما هي إلا دقائق حتى جاء يخبرني بوصول الدكتورة ذكرى، وطلب مني المجيء معه لاستقبالها، تم الاستقبال في حديقة المستشفى وعرفني بها، وتبادلنا التحايا.

-أعرفك بالدكتور ضياء،

-ومن لا يعرف الدكتور ضياء، كل طلاب وطالبات الطب يعرفونه، فأيام الدراسة كان ناراً على علم، تعرفت عليه في سنة تخرجه، وأنا كنت في مستوى أول.

-لقد حدثني عنك أبو حرب، ما شاء الله خمس سنوات على تخرجك ولم تغير فيك هذه السنوات!

- هذا من ذوقك الرفيع.

-أبو حرب:

أستأذنكما لبعض الوقت وسأعود، أجلسا على هذين المقعدين.

– أنا سعيدة أن تكون أنت أول من ألتقي به، ويشرفني أن أعمل في مستشفى أنت تعمل فيها، كما أتقدم لك بالشكر الجزيل على اهتمامك وعنايتك بأختي أمل وضيافتك لها ولأمها بالأمس، لقد كان أبي قاسياً معهما، هو يصر على تزويجها من أبي حرب وهي رافضة، قد يكون من حقها أن ترفض، لكن أبي لا يتقبل من أحد أن يرفض كلامه، أمل ترفض مذهبنا وأفكار جماعتنا بل وتقاومها بكل جرأة، نصحتها أكثر من مرة أن تساير الوضع وأن تلتفت لمصلحتها لكنها لا تسمع النصح، وأبي باعتباره قائداً في الجماعة لن يسمح لها بهذا التوجه.

–أمل بحاجة إلى مساعدة الجميع، وأتمنى أن يحترم الجميع قناعتها وما تؤمن به، وما الذي يمنع أن تتعدد الأفكار والمذاهب داخل البيت الواحد وأن يكون هناك هامش من الحرية ويتعايش الجميع، ثم كيف يريدها أن تتزوج أبا حرب وهي غير راغبة فيه.

–قضية أمل مع أبي تزداد تعقيداً كل يوم، لقد أقسم بالأمس أن لا يسمح لها ولا أمها بالعودة إلى صنعاء، ويقول أنها لم تعد ابنته.

– أسأل الله أن يجعل لها فرجا ومخرجا، لكن أخبريني عنك ماذا تعملين من بعد التخرج؟

–أنا أعمل ضمن فريق من النشاطات في إحدى المنظمات التي

تتبع أنصـــار الله، نقوم بتوثيق الانتهاكات التي يقوم بها طيران العدوان، وأحيانا أشارك في الأشراف على الدورات الثقافية.

– عموماً يشـــرفني التعـــرف بك دكتورة ذكرى، ويسعدني أن نعمل سوياً في

مستشفى واحد، ها هو أبو حرب قد عاد.

–قبل أن تعود إلى عيادتك دكتور ضياء، أحتاج أن نتبادل أرقام هواتفنا.

–نعم بكل سرور.

عدت إلى عيادتي وأنا أحدث نفسي، ماذا يعني هذا؟ أين ذهبت قســوة أبو حرب؟ لماذا لم يجلس يشـــاركنا الحديث؟ لماذا كلهم يلاطفونني بهذه الصورة؟

يبدو أن المواجهة ســـيتغير اسلوبها من الأسلوب الصاخب إلى الناعم!

ومن الواضـــح أن ذكرى جاءت اليوم وهي بكامل دلالها وزينتها، هي مغرية حقا! ســبحان الله ما أشـــبهها بأمل، كأنها هي، وإن كان من الواضـــح عليها ظهور آثار اهتمام أبيها وأمها بها في المظهر والدلال، غير أن أمل جميلة بفكرها الصـــافي، ومعتقدها

السليم، وولائها الصادق لدينها وجمهوريتها ووطنها الجريح، كان الله في عونك يا أمل، كم أنتِ مظلومة يا حبيبتي، كانت ذكرى تحرص أن أنظر اليها وهي تحدثني بكل رقة ودلال، كنت أنظر اليها شزراً، وكان حديثي لها دون تكلف، لقد أعطيتها شعوراً أنني مهتم بأمل وليس بها، سنرى ما الهدف من وراء هذا كله.

❖ ❖ ❖

أخبارك يا ذكرى، كيف كان يومك؟

-كان يوماً رائعاً وجميلاً يا أبي، كان في استقبالي الدكتور ضياء، جلسنا سويا وتذكرنا أيام الكلية.

-لا شك أنها كانت ذكريات جميلة.

-لا أُخفيك يا أبي أن ضياء كان حديث الكثير من طالبات الكلية، كان محل إعجاب الجميع، ولا توجد طالبة إلا وكانت تتمنى أن يكون لها مكاناً في قلبه، كان الطالب الوسيم ذا الأخلاق الراقية، وكان الأكثر تأثيراً من بين زملائه والأكثر اهتماماً بتبني احتياجات الطلاب ومعالجة مشاكلهم.

-ذكرى، أريد منك أن تخطفي قلبه وأن تجعليه يهيم بك حباً، جماعتنا تحتاج لمثل هذه الشخصيات المؤثرة، أنا أعلم أنه ليس من

سلالتنا الطاهرة ولا يعدل بمكانتك كشـــريفة، لكن إذا كان الأمر يتعلق بخدمة أهدافنا فلا يمنع أن تخطفي قلبه وتتزوجيه.

-ماذا تقول يا أبي!؟

-ما سمعتهِ.

- أنا طوع أمرك يا أبي، لكن صـــدمتني بهذا الطلب، وإذا كانت هذه رغبتك فلا تقلق.

-سوف ارى براعتك في هذا الأمر.

-قلت في نفســيي، وأنا ادخل غرفتي إن كان ضــياء من نصيبي فأنا محظوظة، بغض النظر عن أي شـــيء آخر، فأقسم أنه لا يماثله أحد من رجال جماعتنا ولا من سلالتنا الهاشمية، وما الذي يمنع أن يكون زوجاً لي، لكن هل ســأســتطيع ترويضــه لخدمة أهدافنا؟ قد يكون، لكن إن لم أســتطع فعليك يا أبي أن تســامحني، فيكفيني أنني كسبت قلب شـاب تتمناه كل البنات، يبدو عليَّ هذه الليلة أنني لن أنام من الفرح.

-أحسنت يا أبا حرب، لقد كان لقاءً ناجحاً، لابد من استقطابك يا ضــياء ولابد عليك أيضا أن تنسى أمل، لا أعلم ما ســر اهتمامه وعنايته بها؟ أمل ســوف تموت وتنتهي جزاء فعلتها، هذه البنت لا

أطيقها من زمن بعيد، فليهنأ بها خالها هي وأمها.

بنت جارتنا هي البديل سوف أتزوجها، قبحك الله يا شـــرف كيف تجرأت لاقتحام غرفتها، ألا تعلم أن أباك يعشقها، أين أنت يا أبا حرب؟ ســأكلفه أن يذهب لخطبتها من أمها وســأعقد عليها زوجة لي خلال هذا الشهر.

أبو حرب أين أنت؟ أريدك الآن.

عليه أن يذهب غدا لخطبتها، إني لا أحتمل كبح جماح نفســـي حين أراها تمشي في الطريق، ها هو قد وصل.

أبو حرب اذهب إلى جارتنا أرملة الشـهيد، لتخطب منها ابنتها لي أنا.

-لك أنت هههه؟

- ما يضحكك نعم لي أنا.

-البنت التي أعتدى عليها شرف قبل أيام!

-نعم إنها هي، أريدها زوجة لي خلال هذا الشـهر، وخذ هذه الفلوس لامها، وقلها هذا شـرف كبير ما كنت تحلمين به أن يكون هاشم المراني أحد قيادات المسيرة القرآنية زوجا لابنتك.

-من حقك يا عم أن تتزوج وتتمتع بمن شئت من الجميلات، دع هذا الأمر لي، وفي الوقت الذي تريد أن تعقد عليها سيكون لك ذلك.

- هيا اذهب.

❖ ❖ ❖

-ما أجمل هواء القرية يا صفاء، فصنعاء مخنوقة بالحوثيين وأنا مخنوقة بمشاكل أبي وإخوتي ومشاكل أبي حرب.

- ونحن نقول ما أحلى العيش في المدينة، فيها الراحة والمناظر الجميلة والناس الراقيين.

- تضيق بنا أضخم القصور وأجمل المدن حينما يكون في القلب ضيق وألم، كل هذه المظاهر لا قيمة لها، وتتسع بنا خيام الصحراء ونحس بالأمن والطمأنينة فيها، حينما تسكن قلوبنا السعادة والحب.

- أنا سعيدة أن أبي لن يسمح لك ولن يسمح لعمتي بالعودة إلى صنعاء.

- لن نعود إلى صنعاء سنبقى هنا، ولا شك أن أبي سيطلق أمي، بعد أن تبرأ مني ومنها وطردنا بكل همجية إلى الشارع، أبي إنسان لا

يرحم ولا يخاف الله ولا تعلم الرحمة إلى قلبه سبيلاً.

-وماذا تنوين أن تعملي يا أمل؟

-طريقنا طويل ومحفوف بالمخاطر ويحتاج منا إلى صبر وتحمل، سنجاهد بالكلمة ونخوض معركة الوعي، حاجة الناس للوعي وتبصيرهم بحقيقة هذه الجماعة الكهنوتية كحاجتهم للطعام والشراب، لا بد أن يقف المجتمع للدفاع عن هويته الوطنية والإسلامية، فالحوثيون يسابقون الزمن لطمس وتجريف هوية الشعب، خطر هذه الجماعة على اليمنيين كخطر الصهيونية على الفلسطينيين والعرب، بحسب علمي يريد السلاليون تحويل اليمن إلى إقطاعية

تتبعهم، بنهب أراضي اليمنيين وأموالهم، وتحويل الناس إلى عبيد يعملون لخدمتهم، هذا هو أسلوبهم وسلوكهم مع اليمنيين منذ أن وفدوا كغزاة لهذه البلاد قبل مئات السنين، سوف أستغل أي تجمعات نسوية لأنصح وأحذر، فالنساء لها تأثير على الرجال.

-وأنا معك، وكثير من نساء القرية معك.

- سأجلب لكم بعض المشاكل، لكن سأتحمل أنا كامل المسؤولية، ولن أجعل خالي يتحمل أي أذى، فأنا أعلم أن أبي

والحوثيين سيطاردونني أينما ذهبت.

-ما قدره الله سيكون (قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا)

- اليوم لا بد أن نلتقي بالبنات المتعلمات والمعلمات لنضع موجهات عامة نسير عليها، وكيف نتواصل مع بقية القرى، وكيف نستغل التجمعات النسوية في كل مكان.

-صفاء هذه رسالة طويلة على الواتساب وصلتني من ضياء سأقرؤها وأقوم بالرد عليه.

- عزيزي ضياء، أرجو أن تكون في خير وعافية، اما حالي فأنا وأمي ولله الحمد في أحسن حال، وانا منشغلة بمعركة الوعي مع بعض المخلصات لقضيتنا، والناس هنا وفي صعدة عموماً متعطشون لكلامنا، وقد صححنا كثيراً من المفاهيم المغلوطة والمعتقدات الباطلة ولاسيما خرافة الولاية والاصطفاء، وننشر تعاليم الاسلام الصحيح، ونعمق في النساء حب الصحابة وحب السنة، ونبين لهم قيم العدالة والحرية وأن الناس سواسية لا فضل لاحد على أحد، كما نبين خطر العنصرية السلالية على البلاد وأنها جلبت الدمار والقتل للناس.

قرأت رسالتك وتمعنت في كلماتها وعن لين أبي حرب وتلاطفه

معك وتعيين ذكرى للعمل في صيدلية المستشفى ودعوتهم لك لاستقبالها، اعلم أن من يقف وراء هذا كله ويقوم بتوجيه ابي حرب هو أبي، والهدف من هذا هو استقطابك من خلال أختي ذكرى، هي قد لا تعلم بما يخططون، لكن سيشجعها أبي أن تستميل قلبك، فكثير من الشخصيات الوطنية المؤثرة يروضونهم بهذا الأسلوب، والكثير من هذه الزيجات تحولت عكس ما يريدون، أنا على يقين أنك سوف تؤثر وتستقطب ذكرى أنت وستكون هي مع الأيام واحدة منا، صحيح هي تواليهم اليوم لكنها كثيراً ما تتضايق من أعمال الحوثيين ومن تصرفات أبي واخوتي، استمر معها وسينقلب سحرهم عليهم

أتمنى لك التوفيق والسداد.

-ارجو أن تخففي من أنشطتك التوعوية فانت في اهم اوكارهم، جواسيسهم لن يدعوك وشأنك.

-قضيتنا عادلة، والدين والوطن يحتاجون منا أن نضحي من اجلهم ولسنا أغلي من أولئك الشباب الذين يقدمون ارواحهم في سبيل الله، أنا مشروع شهيد لا تقلق عليَّ عزيزي ضياء.

الحقيقة أن ذكرى خلال هذه الأيام تقوم بعملها في الصيدلية على أكمل وجه، سأدعوها لنحتسي كوبين من الشاي وسوف

اناقشها في بعض الأمور.

-كيف حال اختك أمل؟

-لقد تواصلت بها أمس الليل هي بخير، لكن مشـــرف صعدة يتواصـــل بأبي دائما بشـــأن أمل، وما تقوم به من أنشـــطة تخالف توجهات الجماعة، كان آخر اتصـــال أمس الليل، كان رد ابي أنه قد تبرأ منها وأنها لم تعد تعنيه وعليهم أن يتخذوا معها الإجراءات اللازمة، بدوري قمت بإبلاغها وأن تخفف من أنشـطتها، أنا خائفة عليها بصدق فلن يتركوها وشأنها.

-احسنتِ لا بد من أن تخفف هذه الأيام من أنشطتها، لكن يبدو أنها غير مبالية بشيء.

-دكتورة ذكرى، كيف ترين وضع البلاد؟ إلى أين تسير بنا هذه الجماعـة؟ لا رواتـب للموظفين، لا حريـة، لا مســـاواة، نهـب للأراضـــي، ومصادرة للحقوق والاعتقالات، وتشـــريد الناس، وفرض الأفكار الشـــيعية بالقوة حال الناس أصبح مؤلماً، وهناك مئات المليارات تحصـــلها الأجهزة المالية للجماعة، ما رأيكِ إلى أين تسير البلاد؟؟

-دكتور ضـــياء أنا واحدة منهم وعادة ما نسألهم هذه الأسئلة،

لكن يجيبون أننا في حرب وعدوان، والحقيقة التي يجب أن اصارحك بها أن هذا جواب غير مقنع، لسبب بسيط هو أن الشعب يجوع وهم يغتنون غنىً فاحش، كان الكثير منهم لا يمتلكون شيء أصبحوا اليوم يمتلكون البيوت والأراضي والسيارات والأرصدة، الفساد والاستبداد دمار الشعوب، وما أخشاه هو أن يثور الشعب يوماً وحين يثور لن تكون إلا على رؤوسنا نحن الهاشميين.

-وما هو الحل بنظرك؟

-لا أدرى يا دكتور ضياء، لكن ندع الإجابة على هذا السؤال لأيام قادمة!

-خيراً هيا نعود للعمل.

❖ ❖ ❖

في ظاهرة غريبة على المجتمع اليمني لم يعــرفها المجتمع من قبل وهي ظاهرة اختطاف النساء بالمئات كما تقول تقارير حقوقية موثقة وتلفيق تهم كيدية بحقهن، يتم اخفاؤهن قســـــرياً دون أن يعلم اهلهن بمكان إخفائهن مع ممارسة أبشع الانتهاكات بحقهن.

لكن حادثة اختطاف أمل تختلف عن كل الاختطافات الأخرى، فالهدف من وراء الاختطاف هو الاغتيال ليس غيره، وهذا ما سوف نفهمه مما حدث:

-أبي أرى ستة أطقم مسلحة وســـيارة أخرى مموهة يتحركون باتجاه بيتنا.

-أسال الله أن يكفينا شرهم يا صفاء، ماذا يريدون منا؟

-الأطقم تحيط بالبيت يا أبي، والمسلحون ينطون من على ظهورها بجنون، تم محاصـــرة البيت، كأنهم ســـيواجهون تنظيما مسلحاً، والسيارة الصالون المموهة محملة بالنساء تقترب من بوابة المنزل.

-ماذا تريدون؟

-نريد أمل هاشـم المراني، لدينا أوامر من مشـــــرف المحافظة بأخذها معنا للتحقيق.

-ومتى أُخذت النسـاء للتحقيق، لم يعملها أحد من قبل إلا أنتم فتحتم السـجون للنسـاء، من أخذتموهم للتحقيق لم يعد منهم أحد، لن تأخذوها وأنا موجود إلا على جثتي.

أم طه، قائد الحملة توجه بغرور، أمراً باقتحام البيت:

-عليكن اقتحام البيت واعتقالها هيا.

-لا تداهموا البيت واتركوا خالي وشأنه أنا سأحضـر معكم.

-لا يمكن أن أتركك تذهبين معهم.

-خالي، هؤلاء قتلة ومجرمون إذا قاومتهم ســـيقتلونك، دعني وشـأني لا تقلق، وأنت يا صـفاء خذي تلفوني وتواصـلي بالدكتور ضياء وأخبريه باعتقالي.

وأنتم إن كنتم تعتقدون أن بمقدوركم إسـكات صـوت الحق فأنتم واهمون، أنتم إلى زوال لأنكم على باطل، والباطل زاهق.

ودعت أمي وقبلتها في يديها ورأسـها، وطلبت منها أن ترضى

عني وتسامحني، كانت أمي تبكي بلوعة الثكلى، ودعت خالي وودعت صفاء، وودعت الجميع، وقلت لهم قد يكون هذا هو القاء الأخير، عليكم بالثبات على الحق، وبلغوا الدكتور ضياء وسلمي وأختي رشا تحياتي ووداعي.

-لقد ذهب المجرمون بها سألحق بهم.

-انتظرني أخي سوف آتي معك.

-انطلقنا وراء الأطقم، لكنها اختفت عنا، ولا ندري أين اتجهت، سألنا في كل السجون والمراكز الأمنية ولم نجد لها أثراً، لقد ذهبوا بها إلى مكان مجهول.

-اللهم اصرف عن ابنتي كيدهم ومكرهم وشرهم.

❖ ❖ ❖

بعد أن ذهبوا بها مسافة طويلة وهي معصوبة العينين، أدركت أمل أنهم مروا بالمدينة من خلال سماعها لضجة السيارات وأصوات الناس ثم خرجوا منها وساروا مسافة طويلة وكل هذا بغرض التمويه، وصلوا بعد ذلك للمكان المحدد، فما الذي دار بينها وبين المختطفين لنستمع لأمل:

-أين أنا؟ أزيلوا عن وجهي هذا الغطاء، لماذا تقيدونني؟

-أنزليها يا أم طه وادخليها غرفة التحقيقات.

-وبدأوا التحقيق معي لا أرى شيء!

-أمل هاشم شرف المراني هذا أسمك؟

-نعم اسمي.

- ما هي الجهة التي تعملين معها؟

-جهة الحق التي أمرنا الله أن نعمل ونجاهد معها.

-اتركي الاستهتار وأجيبي.

-أنا لا أقول إلا الحق.

-من الذي يدفعك للعمل والتحريض ضد الجماعة؟

-ضميري هو من يدفعني، ولوكان لديكم ضمير لكنتم في صف الشعب المظلوم، وفي صف دينكم ووطنكم، ولما سكتم عن هذا الظلم.

-أنتِ هاشمية وابنة أحد قيادات المسيرة القرآنية فلماذا لا تكونين مع ابيك؟

-أنا يمنية ولا أعترف بأي انتماء آخر غير اليمن، والهاشميون

كانوا مجرد مطاردين فقراء وفدوا على هذا الشعب العظيم الذي أكرم قادتهم وآواهم واغناهم ثم بادله البعض منهم الغدر والخيانة والقتل، وأبي إذا كان في الطريق الخطأ لن أكون معه.

– ألا تدركين أنك تقلين أدبك معنا؟ هكذا ستتعبين معنا وستضرين بنفسك.

– قلت لك، أنا لا أقول إلا الحقيقة.

–ماذا تعني لك ثورة الـــ 21 من سبتمبر، وماذا يعني لك قائدها؟

– ليست ثورة بل نكبة حلت بهذا الشعب، وهي يوم اسود في تاريخه، وقائدها مجرد أداة بيد أعداء اليمن صنعته دوائر المخابرات الإيرانية والغربية لتنفيذ مخططها في اليمن والمنطقة، ما تعنيني هي ثورة الـ 26 من سبتمبر وقادتها

ورجالها الأبطال الذين حرروا الشعب من ظلم الامامة وكهنوتها العنصري، وصنعوا للشعب جمهورية ينعم تحت عدالتها الجميع.

– أيها الحارس خذها من هنا وادخلها غرفة الضيافة.

– ساقوني إلى غرفة التعذيب التي يسمونها غرفة الضيافة،

ومازلت مقيدة والغطاء على وجهي أكاد اختنق، كنت اسمع بكاء واصوات فتيات يعذبن، واخريات أسمع لهن انيناً وتوجعاً، اللهم أنت حسبي ونعم الوكيل، كان في استقبالي مجموعة من الزينبيات، ازالت إحداهن الغطاء عن وجهي ثم صفعتني بيدها على وجهي وانهلن عليَّ الأخريات بالضرب بأيديهن وبالعصي- واسلاك الكهرباء بكل وحشية وأنا مقيدة، كن يتلفظن بالكلام السافل والقبيح، ويوجهن لي تهماً لا اعلم عنها شيء، بعد نصف ساعة من الضرب بدأت اتوجع من العملية الجراحية، منذ أن ضربني أبي قبل شهرين وهي تألمني، كنت أتوجع وأحاول التوضيح لهن، أن لدي عملية لكن دون جدوى، حتى جاء المحقق وأوقفهن ثم اعادوني للتحقيق مرة أخرى،

قلت لهم وأنا ابكي واتوجع، سيأتي اليوم الذي تُحاسبون على أفعالكم، متى زُج بالمرأة اليمنية إلى غرف وزنازين التعذيب؟ كررعليَّ ذلك المعتوه، الأسئلة نفسها، وكررت عليه الإجابات نفسها.

-اعادوني إلى غرفة التعذيب ورموني فيها ليمارسوا بي تعذيباً من نوع آخر وهو التعذيب النفسي.

كنت اسمع أصواتاً تأتي من بعض الغرف لفتيات، وهن يلهجن

بالدعاء، يا الله أنت حسبنا ونعم الوكيل اخذونا من بين أهلنا بدون حق، أنقذنا يا الهي، نحن يمنيات، نحن اخواتكم ماذا فعلنا؟ كان الزينبيات يُجبن عليهن (اسكتي قولي لمحمد بن سلمان ينفعك، او اسكتي يا امريكية او يا عميلة إسرائيل).

❖ ❖ ❖

لم أنم ليلتي، وجاء يوم جديد من أيام صنعاء الكئيبة، وأمل هناك في غياهب السجن بصعدة، تناولت لقيمات أقيم بهن صلبي واتجهت إلى بيت هاشم المراني، طلبت من الحارس أن يبلغ سيده أن الدكتور ضياء في الباب، لقد التقيت به من قبل، أثناء زيارته للمستشفى حين أجري بعض الفحوصات، خرج هاشم المراني ورحب بي وقال:

-أهلا ضياء، ما الذي جاء بك هذه الساعة؟

-جئت إليك كطبيب يحتج على اعتقال أمل، هي لن تتحمل متاعب السجن، ولا شك أن عمليتها الجراحية ستتأثر، وهذا يضر بصحتها ومخالف للقوانين والأعراف.

-انسَ أمل وازلها من رأسك، ودعك من القوانين والأعراف.

-يا ســـــــيد هاشـــم هذه ابنتك لم تقترف أي جرم، حتى يتم معاملتها بهذه الصورة.

-ليست ابنتي، ولا شأن لك بها.

-إن كنت لا تطيقها، فأنا مســتعد أن أرعاها وأنا اليوم جئتك خاطباً لها على ســنة الله ورســوله، ما الذي يمنع ذلك واخلصــك منها؟

-إن كنت تريد مصــاهرتي فهذه الدكتورة ذكرى أنا مســتعد أن اعقد لك بها اليوم أفضل وأشـــرف مكانة من أمل ولكنك لا تحب الشرف، وإن كنت تريد أمل فلن يكون لك ذلك.

-أين الرحمة؟ أين عطف الاب على ابنته يا سـيد هاشم؟ ما هذه القسوة؟!

غادرت بيت هاشـــم المراني وعدت إلى بيتي لأنام، وحدثت نفسي أن الخيط الذي سوف يوصلنا بها هي ذكرى.

لستِ وحدك يا أمل، من وضعوك في السجن فكلنا في سجن كبير، لن اتخلى عنك أيتها البطلة، أعلم أنهم الان يعذبونك، لكن صبرا اسأل الله أن يقوي جسمك النحيل ليتحمل جحيم عذابهم.

تواصلت بالمحامي نصر:

أستاذ نصـــر جاء دورك، اريد منك الذهاب إلى صعدة، فقد تم اختطاف أمل واتجهوا بها إلى مكان مجهول، اريد منك أن نلتقي بعد الظهر لتدارس ما يجب فعله.

-اخزاهم الله، هل وصـل بهم الخوف إلى هذه الدرجة؟ سـوف أتي اليك بعد الظهر إن شاء الله.

صـحوت ظهرا، وجاء المحامي نصـــــر، واتفقنا أن يذهب إلى صـعدة ويحرر شـكوى إلى النيابة وأن يتواصـل بالمنظمات الحقوقية ومنظمـة العفو الـدوليـة ومنظمـة أطبـاء بلا حـدود، وأنـا بـدوري أحاول التعـرف بمكان إخفائها.

تحرك المحامي نصـر باتجاه صعدة، وزودته برقم هاتف خال أمل ليلتقي به أولا، وودعته وذهب.

❖ ❖ ❖

لا شك أن ذكرى تتألم لحال أختها، وأنها في ضـيق لا يقل عن ما انـا فيـه، وأنهـا الآن تفكر في تخليصـــهـا، فـذكرى رغم ارتبـاطهـا بالحوثيين إلا أنها للحقيقة لا تشـبههم تختلف عنهم كثيرا، وسـوف تتواصل بي ونتشارك هذا الهم.

-يا الهي ماذا عملت أمل أختي من جريمة حتى يعاقبها أبي هذا

العقاب ويدخلها السجن، هل رفضها للزواج من ابي حرب ومخالفتها لأفكارنا، سبب تستحق عليه السجن والموت؟ أين الحرية إذا؟ وهل سنحكم الناس بهذه الصورة، إما أن يكونوا مثلنا أو نقتلهم!! إن لم يكن هذا هو الظلم والاستبداد فما هو الظلم إذا؟ لا بد أن التقي بضياء ونفكر ماذا نعمل لأمل.

أخذت هاتفي وتواصلت بضياء:

-ضياء أين أنت؟

-أنا في البيت، أين أنتِ؟

-أنا في البيت، اريد أن أراك لنتحدث بخصوص موضوع أمل.

-سوف أرسل لك موقع البيت واحضري الآن أنا في انتظارك.

-وهو كذلك مسافة الطريق.

وصلت ذكرى ورحبت بها وجلست وقدمت لنا سلمى كأسين من العصير، وطلبت من سلمى أن تتركنا لوحدنا.

-ذكرى نريد أن نعرف أين ذهبوا بأختك، هل بمقدورك أن تساعدينا من خلال علاقاتك الخاصة لنعلم بمكان إخفائها؟

-اظن ذلك، اذكر عند زيارتي لصعدة قبل اشهر كانت لدي

صديقة طلبت مني توصيلها إلى مكان عملها، ثم أفشت لي سرا أنها تعمل في سجن خاص بالنساء، المكان يبعد عن مدينة صعدة 12 – 14 كم غربا في منطقة الحمزات، وهو بيت لقيادي كبير من بيت الحمزي محاط بسور كبير، سوف اتواصل بها واطلب منها أني ارغب بزيارتها ولن اكلمها في الموضوع إلا عند لقائي بها، تربطني بها علاقة جيدة هي لن تمانع وسوف ترحب بزيارتي، كانت يومها تحدثني بما يحدث في السجن من انتهاكات مروعة، وملامح وجهها تشير إلى عدم رضاها بما يحدث من ظلم للنساء، أبي لا يعلم بمكان السجن، هو سر من أسرار الجماعة، لكنني أعدك أن لا أدخر أي جهد في انقاذ أختي.

-إذا اتفقتما على الزيارة فأخبريني لنتحرك الصباح إن شاء الله سويا بسيارتي، وسيكون في استقبالنا المحامي نصر فقد سبقنا اليوم، لكن ماذا سيقول ابوك حينما تغيبين؟

-لا تقلق أبي لا يسأل عن أحد، وسيعتقد أنني في إحدى دوراتهم التي أشرف عليها أحيانا.

-لا أدرى كيف أشكرك دكتورة ذكرى.

-بل لا أدري أنا كيف أشكرك يا دكتور حبك واهتمامك بأختي دليل على إنسانيتك ومعدنك الأصيل، استأذنك نلتقي الصباح.

❖ ❖ ❖

تحركنا الصباح باتجاه صعدة أنا وذكرى.

-ذكرى أنا سعيد بهذه الفرصة أن نلتقي ونتناقش في أشياء كثيرة وأتمنى أن يكون نقاشنا كأطباء ومثقفين نقاشاً علمياً يحترم العقل والفطرة السوية، بعيد عن التعصب.

-لا اخفيك أنا سعيدة أن أكون معك وهذا شرف لي، وأما ما ذكرت بأن يكون نقاشنا علمياً وبدون تعصب فأنا مستعدة أن اتقبل ما عندك من أفكار بصدر رحب.

-أولا فكرة الإمامة والاصطفاء أو أفضلية سلالة بعينها على الناس، أين هذا كله من حقيقة الإسلام الذي جاء من أجل العدل والمساواة والحرية والشورى وعبودية الجميع لله وحده؟

لعل هذه المسألة هي التي مزقت المسلمين وسفكت دماءهم، هل يعقل أن 120 ألف صحابي سمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج بهم وخطب فيهم يوم عرفة في حجة الوداع وبين لهم تعاليم الإسلام واحكامه، ثم ما لبث أن مات بعد شهرين، وترك لهم حرية اختيار من يحكمهم بعده، باعتبار أن اختيار الحاكم حق من حقوق الأمة، هل يعقل ألا يأتي أحد من هذا العدد الكبير

ليقول للناس مالكم تختارون أبا بكر، وقد أمرنا الرسول أن الولاية من بعده لعلي؟ وهل يعقل أن علياً سيسكت عن هذا الحق؟

-ضـــــياء يا عزيزي أنت ذكرت أن يكون نقاشـنا بمصـداقية وبمنطق، أنا معك في كل ما ذكرت، الإســلام لم يأتِ من أجل ســلالة، هذا الدين هو رحمة للعالمين، هو دين العدل والمســاوة، لم يأتِ من أجل أن يكون هناك ســادة والبقية عبيداً لهم أو نســاء شـرائف والباقيات غير شـرائف وهذا ما تعلمناه في المدارس.

سبق أن قلت لك أنني منهم لكنني لست معهم!

فكرة الولاية والاصطفاء والوصية هذه كلها خرافات وتلاعب بالدين ليست من الدين الحق في شيء، لكن سلالتنا اتخذتها وسيلة للتأثير على الناس للوصـول للحكم، أنا كهاشـمية ضـعيفة في ايماني مجبرة من قبل سلالتي أن أعمل لخدمة أهدافها السياسية، وإن كان هذا مخالف لقناعاتي، تجد الهاشــميين في كل المذاهب يتوزعون الأدوار لخدمة هدف الوصول للحكم، أنا اعلم أنكم على حق لكن متى سـأكون معكم وأتبرأ من سـلالتي حينما يكون ايماني مثل ايمان أمل مثلاً، أو مثل ايمان الشـباب الهاشـميين الذين يقاتلون معكم في صفوف الجيش الوطني، لكنهم في النهاية افراد.

أصعب ما يواجه الإنسان في حياته كيف يتحرر من قومه ويتبرأ

منهم إن كان لا يقتنع بأفعالهم، هذه القضـــــية تحتاج منا إلى ثورة ايمانية داخل انفسنا أولاً، تحتاج منا إلى شجاعة.

-الآن فهمت ماذا تعنين بقولك أنا منهم لكن لســت معهم، إن شاء الله سوف تكوني من أهل الحق ومع أهل الحق.

الفرق بينك وبين أمل؟ أنكن تتشابهن في أشياء كثيرة، من حيث المظهر، وفي الذكاء والفهم، لكن تختلفان في ماذا برأيكِ؟

-هههههه نختلف أن أمل منحها ضــياء الحب الذي أدركت به أنها إنسانة مرتبطة بالإله الواحد فقط، إنسانة لها كينونتها وكرامتها ولها قيمة في الحياة، وأنها ليست مجرد مخلوق أو أداة مسلوبة الإرادة كحالي وحال غيري من الهاشميات، نحن يا دكتور ضــــياء نعيش صــراعاً نفســياً رهيباً، لأننا نعيش في داخلنا عالم المتناقضات التي ســوف نكتوي بنارها حينما يصــحو الشــعب، ويفيق من جهله وغفلته، ندّعي أننا مســـــيرة قرآنية لكن لا يوجد بيننا حافظ واحد وفضــلاً عن ذلك نقتل من يحفظ القرآن ونفجر مراكزه ومدارســه، ندّعي أن ائمتنا هم أعلام الهدى وســفن النجاة وبهم يدخل الناس الجنة، وهم أبعد الناس عن الله وأكثر الناس معصــية لله مثل ابي وغيره، ندعي أننا انصــار الله وفي الحقيقة نحن انصــار الشـــيطان، نصــرخ في كل مكان بالموت لأمريكا وإسـرائيل، لكننا من يحرسهم،

ونحرس سفاراتهم، ولم يمت منهم أحد، كل الذين يموتون من اليمنيين، بل ولولا أمريكا لما وجدت هذه الجماعة ولما خرجت من كهوفها البعيدة، ندعي الدفاع عن السيادة والبلاد نسلمها للمشروع الفارسي ونضحي بدماء اليمنيين من أجله، ندعي حب النبي ولا نؤمن بسنته، وندعي حب علي وفاطمة والحسن والحسين، ونحن عصابات من النهابة واللصوص نأكل أموال الناس بالباطل، النفوس السوية والعقول المتزنة لا تقبل بفكر جماعتنا، هذه الجماعة لا يوجد في قواميسها سلام، هي ضد الحب، ضد السلام ضد الحياة، ثقافتها تبنى على الكراهية والقسوة والموت، هل بعد هذا التناقض من تناقض، وهذا النفاق من نفاق.

ماذا بعد أن اوصلنا الشعب أن يأكل من براميل القمامة، أو يقدم ابنه ليموت في الجبهة مقابل سلة غذائية.

لا تظن أنني لا أتألم على حال الشعب، ليال كثيرة لا أنام حتى أبكي، لكن أنا مجبرة أن اعمل معهم وأنا مكرهة لأنهم سلالتي أين أذهب منهم، أنا فتاة أحتاج من يسندني ويحررني من هذه العبودية ومن هذا المذهب الذي يحرم عليَّ أبسط حقوقي وهو أن أختار من يهواه قلبي، هذا هو الفرق بيني وبين أمل.

– ذكرى، أسال الله لك ولنا الهداية والتوفيق والعمل بما يرضيه،

أنا على يقين أن عقلك الذكي وقلبك الصادق سيسلمانك إلى الخير، لا تقلقي نحن سندك.

-ضياء أنت إنسان رائع وصاحب قلب نقي.

-هذا من ذوقك، ما رأيك لو استمعنا لبعض الأغاني، ما ذا تحبين أن تسمعي؟

-أحب ما تحبه أنت.

- إذا نستمع للفنان أيوب طارش، رددي أيتها الدنيا نشيدي.

ويا سموات بلادي باركينا.

بعد أن استمعنا تقول ذكرى:

-هذه الكلمات بهذا اللحن القوي والجميل كفيلة أن تصنع ثورة، الا تعلم أن هذه الكلمات تزعج جماعتنا ولا تطيقها، وأكثر ما يزعجها هو النشيد الوطني.

-دكتورة ذكرى، قاربنا من الوصول، أين ستنزلين؟

-أنا سوف أنزل عند صديقتي، لا أحب الذهاب عند أقاربي.

-وهل يوجد لك أقارب في المدينة؟

-أبي يمتلك بيتاً أشتراه قريباً يسكن به أحد أقاربنا، لكن لا

أحب أن يعلم أحد منهم بنزولي صعدة.

-أنتِ ستنزلين عند صديقتك وانا سأنزل الفندق والتقي بالمحامي نصر هو في انتظاري وسنتواصل إذا جد جديد.

❖ ❖ ❖

التقيت بالمحامي نصر وكان قد التقى بأم أمل وخالها وذكر:

أن النيابة لم تتجاوب مع الشكوى بسبب أن القضية سياسية، وليس من حقهم التدخل في القضايا السياسية، رغم تدخل المليشيات في اعمال القضاء والنيابة

-محامي نصر لا داعي للعودة للنيابة، عليك أن تتواصل بمندوبي المنظمات الحقوقية والإنسانية ومنظمات الأمم المتحدة، وقم بإنزال مقطع فيديو لأم أمل عبر المواقع الإعلامية وتشرح فيه عملية الاختطاف وإخفاءهم لأمل، وأنها تحمل مشرف صعدة المسئولية، وسوف يتم تداوله في قنوات ووسائل الإعلام، وأنا بدوري سوف اتواصل بمنظمة أطباء بلا حدود.

دق جرس الجوال

-خير إنها ذكرى، نعم.

-ضياء أين أنت؟

-أنا في الفندق.

-هناك اخبار مهمة سأنتظرك في المكان الذي افترقنا فيه بالأمس.

-انا قادم اليك دقائق.

-دخلت ذكرى السيارة وقالت:

تحرك لا تتوقف سنتحدث والسيارة تسير.

-ما الأخبار اراك تبكين ماذا حصل تكلمي؟

-أمل في خطر، بعد أن عجزوا أن ينتزعوا منها اعترافات قاموا بتعذيبها وضربها، أربعة أيام وهي تحت التعذيب، كانت تستغيث بهم وذكرت لهم أن في بطنها عملية جراحية حديثة لكنهم لم يرحموها، وهي الآن في غيبوبة بعد تأثر العملية بالضرب والدماء تسيل منها.

الطبيبة الموجودة في السجن طلبت منهم نقلها للمستشفى لكنهم رفضوا، والمسجونات يبكين ويصرخن لإنقاذها قبل أن تموت.

-حسبنا الله ونعم الوكيل، عليكِ يا ذكرى بالرجوع لصاحبتك واطلبي منها أن تبذل ما بوسعها ويتم إسعافها للمستشفى، وفي

حال تجاوبهم أبلغيني وأنا سأكون في استقبالها في المستشفى، ثم نتدبر ماذا نعمل.

-وهو كذلك.

-لم نرَ ولن نرى مثل هذا القبح، كيف يستهينون بأقدس حق وهو حق الحياة، إنهم بهذا الفعل يستهدفون حياتها، لقد انتزعت من قلوبهم، وقلب ابيها الرحمة.

-تحركاتنا في المدينة كلها بحذر، وهذا ما أكد عليه خال أمل، فالجواسيس التابعون لجماعة الحوثي في كل مكان، يتعقبون زوار المدينة القادمون من المناطق والمحافظات الأخرى.

التقيت أم أمل وخالها باب الفندق، قد التقوا بالمحامي نصر، قمت بتوصيلهم إلى البيت الذين يجلسون فيه وأنا أحدث نفسي.

آه أيتها الأم المسكينة لو تعلمين أن أمل الآن في غيبوبة داخل السجن، قلت لها أكثري من قول حسبي الله ونعم الوكيل، عدت إلى الفندق ولم أحدثهما بحال أمل وبأننا قد وجدنا مكان إخفائها.

تابعت أنا والمحامي نصر طوال الليل نشر مقطع الفيديو الخاص بأم أمل في المواقع والقروبات وتواصلنا مع وسائل الأعلام والقنوات، وتواصلنا بالمنظمات الحقوقية.

❖ ❖ ❖

-ضياء أين أنت؟!

-نعم يا ذكرى أنا موجود، مالك تبكين بهذا الشكل؟

-أمل ماتت، قتلوا أمل يا ضـــــياء، قتلها المجرمون السـفلة، صدمت بهذا الخبر!، ودارت بي الأرض، وسقط التلفون من يدي، وخنقتني العبرة، وعجزت عن الكلام إلا كلمة واحدة خرجت بصعوبة نلتقي في المكان المحدد.

ما الخبر يا ذكرى؟ حاولي أن تهدئي.

صديقتي عادت من السجن قبل قليل، وقالت:

لقد تواصـلوا بوالدي يخبروه بموت أمل، وقال لهم أنها لا تعنيه وأعطاهم رقم تلفون خال أمل يتواصـلون فيه ويسـلمونه جثتها، وقد أوصلوا جثتها للمستشفى.

-إذاً نذهب للمستشفى كان الوقت العاشـرة صباحاً من اليوم الخامس للاختطاف، ما هي إلا دقائق وخال أمل يتصل بي ويبلغني بهذا الخبر المشؤوم ويطلبون منه الحضور للمستشفى لاستلام الجثة، عظم الله أجرنا جميعا نلتقي في المستشفى.

لم أتمالك نفســـــي كانت الدموع تنثال من عيني بلا شـعور،

وذكرى تجهش بالبكاء، ونصر يحاول تهدئتها، ويقول الحمد لله إنها شهيدة هذا فضل من الله، أسأل الله أن يتقبلها في الشهداء وصلنا إلى ثلاجة المستشفى، وهي مسجاة على الأرض، لم نستطع أن نتمالك أنفسنا، ذكرى تهوي وتحتضنها بكل قوة وهي تبكي وتصيح:

قتلها الحوثيون المجرمون، قتلوك يا أختي، قتلوك يا أمل سيكون دمك لعنة عليهم وأولهم هاشم المراني سيدفعون الثمن.

آه يا أختي آه يا حبيبتي، وما هي إلا لحظة حتى وصلت أمها وخالها، لقد كانت أمها أكثر صبراً وثباتاً ورباطة جأش من ذكرى، تفاجأت أم أمل من وجود ذكرى، قامت ذكرى واحتضنت أم أمل (خالتها) وهما يبكيان، لقد كانت لحظة مؤثرة وشديدة على النفس، ومن أشد المواقف المحزنة في حياتي، تجعلني اؤمن أن من قاموا بهذا الفعل لا يعرفون معنى الإنسانية ولا تحمل قلوبهم ذرة من رحمة.

ألقيت نظرة على أمل، وأنا أبكي بحرقة وألم، يرحمك الله يا أمل يا صاحبة الوجه الملائكي إنه وجه من الجنة، ما هذا النور وهذه الابتسامة المشرقة التي اراها على وجهها؟ يا الله! يرحمك الله يا عزيزتي لقد أدَّيتِ ما عليك تجاه دينك ووطنك، لن أنسي ما قلتِه يوما، سأمضي في طريق الجهاد حتى الموت.

تكاد أن تنطق وتقول لنا واصلوا الطريق، وتمسكوا بالحق، ودافعوا عنه حتى النهاية.

ما أعظم أن يجود الأنسان بروحه في سبيل الدفاع عن الدين والوطن والكرامة والحرية، احتضنتها أمها وقبلتها وهي تقول:

-طلبتِ الشهادة فنلتِها وصدقتِ الله فصدقك يرحمك الله يا بنيتي، هنيئا لك الشهادة.

استلم الجثة خالها وهو يقول باكياً:

-ما كنا نعلم يا عبدالملك الحوثي أنك وجماعتك ستقتلون النساء بعد أن تختطفوهن من بيوت أهلهن، لقد كان في بكائه شجناً وصوتاً يمزق نياط القلوب، إنها مواقف وايام بكى لهولها الرجال قهراً، انطلقنا جميعاً إلى قرية خالها، وذكرى لم تهدأ طوال الطريق وأم أمل تهدئها أحيانا وأحيانا يبكيان سوياً.

ها نحن قد وصلنا، الكثير من أهل القرية ينتظرون خارج القرية بسياراتهم كان موكباً مهيباً، وأبناء القبيلة يطلقون الرصاص من بنادقهم ورشاشاتهم كتعبير على أن الثأر لدماء الشهيدة دينٌ في رقاب قبيلتها، وهذا له مدلول عند القبيلة اليمنية يدلل على قيم وشموخ وإباء القبيلة اليمنية الرافضة للخنوع والاستسلام على مر

التاريخ، الجميع يدخلون القرية، تجمعت النساء بالمئات من القرية ومن القرى المجاورة وحضر الرجال وأعلنوا إدانتهم واستنكارهم لهذا الفعل المشين والغريب عن عادات وأعراف القبائل والبلاد عموما، وأن هذا الفعل ستكون عواقبه وخيمه.

سمعت فتاة تتكلم في النساء وكأنها قائد جماهيري، تلقي كلمة بكل حماس وعنفوان، كانت كلماتها قوية مؤثرة تورق بروعة الصدق، وتفوح من حروفها رائحة الحرية والكرامة، سألت عنها فقالوا هذه صفاء أبنة خال أمل.

-أيتها النساء لقد عرفتن الشهيدة أمل التي فتحت أعيننا للحق، لقد حدثتنا عن الله، وعن رسوله وصحابته، حدثتنا عن كرامة الأنسان وحريته، حدثتنا كيف نعشق هذه الأرض ونعتز بها، حدثتنا عن ثقافة السلام والحب، وحذرتنا من ثقافة الكراهية والعنصرية، ومن يدعون إليها، ها هي اليوم شهيدة بين أيدينا قتلوها أعداء الإنسانية أعداء الحياة وبذلت روحها فداء لدينها ووطنها، وما علينا إلا أن نسير على هذا النهج وفي هذا الطريق، لقد مضت في طريق الحق دون أن تستسلم ونحن ماضون في الطريق نفسه، وكلنا أمل وكلنا مشاريع شهادة لن نستسلم، ما قيمة الحياة بلا كرامة وما قيمتها ونحن عبيد لعصابة تريد أن تتسيد علينا.

-لقد ألقت هذه الكلمات بحماس وقوة، تمالكت نفسها ولم تبكِ في الوقت الذي كان كل النساء تسمع لها وهن يجهشن بالبكاء.

وكأني أرى روح أمل تسري في جسد هذه الفتاة وأنها هي من تتحدث.

لقد خاضت أمل ملحمة تاريخية، بكل عزيمة وصبر، ضد سلالتها الغاشمة، تعرضت في سبيل قضية شعبها العادلة لكل صنوف الأذى والتنكيل، ما ضعفت يوماً أو استكانت، إن هذه الملحمة التي توجتها بالشهادة لدليل على روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على زخارف الحياة، والانطلاق المتجرد من مطامع النفس، لقد كان بإمكانها أن تنجو بحياتها في مقابل الهزيمة لإيمانها وقضيتها، وفي مقابل أن يقتل المعنى الكبير للانتصار للحرية والعدالة، لكنها مضت كما يمضي الابطال والاحرار الشرفاء، الذين استهانوا بكل قيم الأرض الرخيصة، مقابل الانتصار لقيم السماء، لقد صارت أمل رمزاً من رموز الحرية، فما الحرية، إلا الاستعلاء بالعقيدة، امام طغيان الطغاة، وجبروت المتجبرين، والاستهانة بالقوة المادية التي تستطيع أن تتحكم على الرقاب والاجساد لكنها تعجز أن تتحكم أو تسيطر على القلوب والارواح.

❖ ❖ ❖

جاء الصباح وتم التشـــييع الكبير واللائق بمجاهدة وشهيدة، رفعت صور الشهيدة وانتشرت في كل مكان، وتسابق الناس لطبع صورها بأحجام مختلفة كقائدة وملهمة للجماهير.

حاول الحوثيون إيقاف الجماهير، واعتقلوا بعض الشباب ونتيجة لضغط الجماهير تم أطلاق المعتقلين وتم طردهم من المنطقة، وكان يوم غضب جماهيري كبير.

واسيناهم ذلك اليوم، وأوصت أم أمل ذكرى بأن تهتم بإخوتها الصغار وأن تبعدهم عن الحوثيين وأفكارهم فهم أمانتها، وقالت لها لن أعود إلى هاشم الذي أشترك في قتل أبنتي، لكن أبنائي أمانة لديك يا ذكرى، تصافحا وودعت ذكرى خالتها وهي تبكي، ووعدتها بالزيارة هي وأخوتها الصغار كلما سنحت لها الفرصة.

عدنا إلى صنعاء، وقبل ذلك مررنا بقبر أمل، وجلسنا بجوار قبرها الحزين، واستحضرت ما قاله الشاعر البردوني في قصيدة كيف أنسى. لقد خنقتني العبرة وانا انطق بتلك الابيات التي رددها بشجون المحب الذي يرثي حبيبه:

هيهات أن أنسى هواك و كلّما

حاولت أن أنسى ذكرتك مغرما

يا للشجون و كيف أنسى و الأسى

يقتات أوصالي و ينتزف الدما

يا أخت روحي و ابتسام طفولتي

و بكا شبابي – آه . ما ألقى و ما

خلّفتني وحدي ألوك حشاشتي

أسفا و أفنى حرقة و تضرّما

وحدي مع الأمل الذبيح تطوف بي

ذكـــــــــر متيّمة يشقن متيّما

واليوم إنّي حول قبرك صامت

أقتات من جوعي و أستسقـي الظما

و أقبّل القبر الحبيب و منيتي

لـــــو أنّ لي في كـــلّ جارحـــة فما

و أسائل الصمت الرهيب كأنّني

جوعان محتضر يسائل معدما

يا من أناديها و يخنقني البكا

ويكاد صوت الدمع ان يتكلما

لقد أنتشـــر مقطع الفيديو المسجل لأم أمل بالأمس انتشار النار في الهشيم في كل المواقع وصفحات التواصل الاجتماعي، وأستطاع

الأستاذ نصر المحامي أن يعمل اليوم مقابلة أخرى لأم أمل تشرح فيها حادثة مقتل أمل، وسيقوم بنشرها في كل المواقع والقنوات، بعد أن أخذ صوراً للشهيدة وهي مسجاة على الأرض وصوراً عند التشييع الجنائزي المهيب.

الدكتورة ذكرى تتوعد بأنها لن تسكت، وسوف تفضح أعمال الحوثيين وسجونهم السرية وخصوصاً سجون النساء.

إنها معركتها القادمة كما تقول، وأن دماء أختها ودماء بقية المظلومين لن تذهب هدراً وسوف تعرف الناس بالوجه القبيح للحوثي وجماعته.

ساعات العودة من صعدة إلى صنعاء، كانت ساعات من الوجع والألم، رافقنا فيها البكاء والحزن، لطالما خنقتني فيها العبرات في كل لحظة تذكرت فيها أمل، لم تفارق ذهني صورتها الجميلة ولا براءة عينيها، لقد كنا نحس بروحها ترفرف وتسير معنا، تذكرت تلك الابتسامات والضحكات التي مثلت علاجاً وبلسماً لآلام قلبي بعد فراق رحاب، تذكرت بكاءها وصبرها وثباتها على طريق الحرية والحق بكل عزيمة وإصرار، بكيتها بعيني وقلبي طول الطريق، لأنها قتلت مظلومة، آه ما أقسى الظلم على النفوس!، لقد كانت الفتاة التي يتطلب وجودها اليوم للمشاركة مع أخيها الرجل لإنقاذ اليمن.

أما ذكرى فعلى طول الطريق وهي إما في حالة بكاء أو تتوعد الذين قاموا بقتل أمل بالانتقام منهم، وفي مقدمتهم هاشم المراني، وابن عمها أبو حرب.

أثناء عودتنا أهديت ذكرى ثلاثة كتب (الأول الطريق إلى الحرية، والثاني اذهبوا فانتم الرافضة، والثالث جناية ادعياء الحق الإلهي على اليمنيين) والزمتها بقراءتها، ثم قالت:

-أنا يا دكتور أعلم بهم وبتاريخهم، بعد اليوم أنا أتبرأ من كوني هاشميه أنا يمنية فقط، واحذروا الهاشميين الذين هم في صف الجمهورية، ولا تثقوا بهم إلا بعد أن يتبرأوا من هاشميتهم العنصرية، ويتذكروا فقط أنهم يمنيون، لا يجتمع أبدا أن أفخر بانتمائي لليمن وأنا أفاخر بسلالتي العنصرية، أنا اليوم لست ذكرى هاشم المراني أنا ذكرى اليمنية.

لقد أرادو أن يجعلوا مني سلعة رخيصة يغرونك بها للإيقاع بك هل تتذكر، أنا عندهم مجرد فتاة تافهة أرادوا أن يستخدموني بطريقة غير شريفة للإيقاع بشخصية وطنية وترويضها.

لكن لن أكون كذلك أنا إنسانة لي كرامة ولي الحق أن أختار الطريق التي يرتاح لها ضميري.

وصــلنا صــنعاء عند الغروب وبدأ الليل يغطي وجه صــنعاء الحزين، وبدأ نباح الكلاب وعواؤها في شوارعها كالعادة.

قالت ذكرى:

-ضياء فيمَ تفكر.

-أفكر في حالك، وحال أختك رشــا، لكن ســوف نتحدث فيما بعد.

أنزلتها في أول الشارع الموصل إلى منزلهم فأنا لا أفضل أن يراني معها أحد، ثم ترجلت إلى أن وصــلت أمام البيت، وانتظرت واقفاً بسيارتي حتى دخلت البيت، فماذا وجدت، تقول ذكرى:

لا حظت بيت جارتنا الأرملة ممتلئة بالنساء والبنات، وأصوات الأغاني تصدر من داخل البيت.

دخلت بيتنا شــاهدت من خلف زجاج النوافذ، ومجلس أبي يكتظ بالمخزنين، ظننت أن هؤلاء جاءوا يعزون أبي، لكن كيف في بيتنا عزاء وجارتنا تغني وترقص!

وجدت أختي رشــا تبكي وتنتحب في غرفتها، فخبر قتل أمل انتشــــر وعلم به الجميع، رأتني وزاد نحيبها وارتمت على صدري وهي تقول:

-آه يا أختي قتلوك المجرمون بلا رحمة، قتلوك يا أمل.

-أغلقت الباب وقلت لرشـــا، ماذا يجري في بيت جارتنا؟ ومن هؤلاء الذين في مجلس أبي؟

رشا وهي تبكي بحرقة، قالت:

-أبي تزوج بابنة جارتنا التي حاول أخي شـــرف اغتصابها قبل فترة وسوف تزف له الليلة.

-نزل الخبر على رأســـي كالصاعقة قبحهم الله جميعا، البقاء في هذا البيت أصبح جحيماً لا يطاق، وأين أمي؟

-ذهبت بيت أهلها.

أقفلت على نفســـي باب غرفتي وبكيت كثيراً، إلى هذا الحد من الخســـة، والوقاحة؟ وكأن أمل لم تكن يوما أبنته، يتزوج ويفرح ويعاشـــر في اليوم الذي قتلت فيه أبنته ودفنت في التراب! يا الله أي قلب هذا!؟

أقســـم أن قيادة هذه الجماعة وأفرادها على هذه الشـــاكلة من الخسة، وليس لديهم ذرة من الشرف، إنه سقوط أخلاقي مريع.

رشـــا تـدق عليَّ البـاب بقوة بعـد منتصـــف الليـل وقـد زفـت العـروسة للعـريس.

تدق وتصيح بقوة أفتحي يا ذكرى، كنت صاحية لم أنم وكيف أنام، فتحت الباب لتدخل، ثم أغلقته وبقينا نبكي حتى الصباح، وحدثت رشا بكل ما حدث لأمل في السجن.

جاء الصباح وأشرقت شمس ذلك اليوم الحزين، أشاهد أخي شرف يشغل سيارة أبي ومرتضى يدخل حقائب إلى خانة السيارة الصالون، بعد دقائق نزل العريس ومعه فتاته العروس، ويدخلون السيارة وتتعالى الضحكات، نظرات شرف الجائعة كذئب شبق إلى زوجة أبيه الجديدة تكاد تلتهم العروسة، لا شك أنه يقول من حاولت اغتصابها قبل أيام أصبحت اليوم خالتي وزوجة أبي، تحركت السيارة بالعريس والعروسة فقط.

-إلى أين هم ذاهبون يا شرف؟

-سيقضون أياما في الحديدة وسيعودون.

-هل تعلمون ماذا جرى لأختكم أمل؟

-نعم، نعلم، يرحمها الله، وماذا نعمل لها، هي من تسببت فيما حدث لها، وأغلق على نفسه باب غرفته.

-هذا منطقكم جميعا قبحكم الله أيها القتلة، حسبي الله ونعم الوكيل، انتظروا العقاب من الله، لقد ذهبت إلى الله وهي تشكو إليه

ظلم الظالمين، وعدنا نواسي بعضنا بعضاً أنا ورشا.

-ثم علم كل من في البيت من الصغار والكبار وارتفعت أصوات الجميع بالبكاء إلا شرف ومرتضى، كان يوما حزينا بل أيام حزينة.

صفحات التواصل الاجتماعي وكل المواقع الاخبارية وبعض القنوات الفضائية تعج بحادث مقتل أمل وإخفائها وتعذيبها قبل ذلك.

-لقد استمعت إلى كلام أم أمل أكثر من مرة، أنه كلام مؤثر أين الغيرة والحمية أنه كلام يفتت الأكباد يا ضياء، كلما استمعت لها أبكي من جديد، ما هذه الوضاعة وهذا الأجرام؟!

-لقد أختار الله لها الخير يا سلمى.

-ضياء، ابلغتني رشا أنها وذكرى يجهزان لإقامة عزاء وقد تم تحديد الصالة التي سيقام فيها العزاء وتم الإعلان عن ذلك عبر مجموعات الواتس، وكل صديقاتها مصرات أن يقام العزاء.

-لن يسمح الحوثيون بذلك، لكن لا يجب أن يستسلم الناس فليقام العزاء، هذه الجريمة الإرهابية يجب أن تكون قضية رأي

عام، ولا ينبغي أن تدفن دون أن يستنكرها المجتمع المحلي والدولي.

❖ ❖ ❖

حضـــرت المئات من النسـاء، ولم يكن بحسبان القائمات على المناسبة أن يكون هذا الحضور الكثيف تقول ذكرى:

لقد عبرت الحاضـــرات عن استنكارهن لهذه الجريمة، وتحدثن عن ســـيرة وشجاعة أمل، وكيف جعلت من حياتها ثمنا للكرامة وللحق التي آمنت به وأنها قامت بأعظم الجهاد كما بين ذلك نبينا – محمد صلى الله عليه وسلم –:

(اعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر).

كل من في الصالة بصوت واحد بالشعار الذي يغيض الحوثيين (بالروح بالدم نفديك يا يمن)

داهم المسـلحون الحوثيون الصـالة ومعهم الزينبيات يحملن الهراوات، تم الاعتداء على النساء بالضـرب بصورة جنونية، رشا اختي وسـلمى يشـتبكن بالأيدي معهن ويتم اعتقالهن، إحدى المصورات تم اعتقالها ايضا، المئات من النساء يتحركن في صورة مســـيرة غضب وكنت أتقدمهن ونحن نرفع اصواتنا بالشعارات الجمهورية، وصـلت المســـيرة إلى مركز الحي وتحدثت للنسـاء

وقدمت لهن الشكر وترحمت على الشهيدة وتعاهدنا جميعنا أن نكون كلنا أمل، ثم وجهتهن أن ينطلقن راشدات إلى منازلهن، اطقم المسلحين والزينبيات يسرن خلفنا، وقفت أمام السيارة المموهة والتي بداخلها المعتقلات فقلت لهم، أنزلوا البنات يا قليلي الحياء، أنا صاحبة العزاء، وانا من دعا النساء، لماذا لا تعتقلوني أنا؟

يبدو أن مسؤولة الحملة تعرفني جيداً قالت:

لن نطلق أحداً وابتعدي من طريقنا.

-أصريت على إنزالهن أو يأخذونني معهم، فأخذوني بعد ذلك وذهبوا بنا جميعا إلى مكان مجهول في بدروم إحدى البنايات.

❖ ❖ ❖

تواصلت بالمحامي نصر أن نلتقي.

-ما الأخبار أستاذ نصر.

-حسب إحدى الإعلاميات أبلغتني أنه تم اختطاف سلمى ورشا وذكرى وإحدى الإعلاميات.

- لا بأس طريق الحرية محفوف بالصعاب والمعوقات، اغتيال أمل ستتحول إلى قضية رأي عام، وخصوصا بعد فعالية العزاء، توقعاتي أنهم سيطلقون المختطفات فهاشم المراني لا يريد تأجيج

القضـــية أكثر مما هي عليه ســـيما أن من ضمن المختطفات أبنتيه ذكرى ورشا.

سأتواصل بالمشرف أبي حرب:

-أبو حرب هل لديك علم بما حدث؟

-نعم لدي علم ولا شك أنك من وراء هذا كله.

-مع أنه لم يكن لدي علم بإقامة العزاء إلا من سلمى في الصباح، لكن أليس من حق أخوات الشهيدة وصديقاتها ان يقمن عزاء، ثم ليس وقت هذا الكلام وأنظر أين ذهبوا بالمختطفات، لا يصح أن تقتل أختهن بالأمس واليوم يختطفن أخواتها وصديقاتهن، هن قريباتك وبنات عمك.

-حيرتنا بأساليبك والاعيبك لكن في النهاية أنت من سـيعض على أصـابع الندم، لأنك تحقق اهدافك، وتزعزع الأمن بتأجيج الشارع بأساليب وحيل ماكرة وانت بعيد، ولا أستبعد ان كل ما يحدث من تحركات أنك من يحركها من الخلف، سأخبر عمي هاشم المراني بما حصل وأرجو أن يقبل بإطلاقهن.

عمي يلهو مع عـــروسته وهو لا يعلم أن هناك ثورة في مواقع وصفحات التواصل الاجتماعية والقنوات الفضائية، واليوم ثورة

أخرى مجلس عزاء يتحول إلى مسيرة في الشارع تدين القتلة حسب ما يرددن النساء وإطلاق شعارات رافضة لجماعتنا.

ضـــياء وراء كل هذا، ها هو يستخدم حتى بنات هاشم المراني القيادي في الجماعة ويحقق أهدافه، أعتقد أن مهمة ذكرى في ترويضه ستتحول إلى العكس، إن لم نفرق بينهما ســيجعل منها أمل أخرى، الدكتور ضياء مكانه الحقيقي هو السجن، يجب أن نوقفه عند حده قبل أن تتعاظم هذه التحركات يوماً بعد يوم.

هذه الشريفة سيدة تتصل، أكيد من اجل بناتها.

-نعم عمتي ماذا تريدين؟

-أبلغ ســـيدك السافل أن بناته في السجن، وهو يتسكع مع عروسته في الحديدة، أبلغه الآن، لن اسمح أن يبتن بناتي في السجن وإلا فسأجعل القيامة تقوم على هذا الصعلوك، وسوف أخرج وأتحدث لوسائل الأعلام.

-حاضر يا عمتي، اهدئي سوف اتواصل به الآن.

❖ ❖ ❖

إحدى المجندات الأمنيات تنادي من باب السجن باسمي، ذكرى هاشم، خرجت واخذتني إلى غرفة الضابط، وتوجد معه في

الغرفة إحدى الزينبيات، رحب بي الضابط قائلا:

أهلا سـيدة ذكرى، نحن نعتذر حدث التباس في الأمر ما كنا نعلم أنك وأختك من ضمن المعتقلات، لقد تواصل فينا سـيدي هاشـم المراني واعتذرنا له، والآن يمكنك واختك الرجوع إلى البيت.

-لن أرجع ولن أخرج من هنا إلا بإطلاق كل البنات اللواتي تم اختطافهن في فعالية العزاء وعددنا أربع.

-اسمحي لي، لا شأن لك بالأخريات، لم يوجه بإطلاقهما السيد هاشم.

-قل له لن نخرج إلا الأربع، ما لم فسـنبقى جميعاً وعدت إلى السجن مع السجينات.

تم اسـتدعائي بعد سـاعة وتم ابلاغي أن أبي لم يوافق إلا على إخراجي أنا وأختي رشـا فقط، فقلت لهم لن نخرج إلا الأربع، وقولوا لسـيدكم إن لم يوجه بإخراج الأربع فسوف أخرج على وسائل الاعلام وأحدث اليمنيين بكل شيء.

بعدها بسـاعة تم الافراج عن الجميع، لقد التقينا بكثير من السجينات المظلومات، هن في وضع يرثى له، مضى على سجنهن

أشــهر في قضــايا مختلفة، جميعهن يختلفن مع الجماعة في توجهاتها، ويلفقون لهن تهماً باطلة، وعدتهن أن أنقل قضـــيتهن للرأي العام، وأخذت أسماءهن جميعاً وماهي التهم الملفقة لكل فتاة وامرأة.

وعند خروجنا تحدثت للضــابط أن ما يقومون به، من ســجن وتعذيب لبنات اليمن بسبب رفضهن لأفكار الجماعة جريمة سوف تحاسبون عليها.

ثم عدنا إلى بيوتنا رافعات الرؤوس.

❖ ❖ ❖

أبو حرب يوغر صدر هاشم المراني، ويحرضه بالتخلص مني أو اعتقالي، بعد أن أقنعه أني لا اصلح زوجاً لذكرى، فهو لا يتوقع أن بمقدورها أن تستميلني إلى صف جماعته، بل قد يحدث العكس، (هم لا يعلمون أن ذكرى أصبحت واحدة منا)، فوشاياته وتحريضه، والتقارير الكيدية أفلحت عند سيده هاشم المراني وقيادة الجماعة.

مرت الأيام، وتغيرت قناعة هاشم المراني، ممَ كان يخطط له مع أبي حرب، من تزويجي من أبنته ذكرى، فقد أدرك فعلاً أنها غير قادرة على استمالتي بل قد يحدث العكس، ويتكرر ما حصل حين

تعلقت أمل بي، فقد تتعلق ذكرى بي أيضاً، حينها لا يستطيع كبح جماحها بعد ذلك، فتسبب له مشكلة أخرى، فقرر هذه المرة مع كلبه أبي حرب التخلص مني، قام باستدعاء أبي حرب للبيت، واخبره بقراره، فقال أبو حرب والحقد ظاهر في عينيه:

-هذا هو ما يجب فعله، فإن خطر الدكتور ضياء اصبح كبيراً وتأثيره غدى في كل مكان، ولا ينبغي التغاضي والسكوت عنه، لقد انتقل خطره إلى بيتك، وصار يستخدم ذكرى ورشا كما استخدم أمل من قبل.

-هاشم المراني، وهو يشعل سيجارة أمريكية الصنع، وينفث فيها بشراهة وحنق حتى تنتفخ اوداجه، وعيناه الجاحظتان تزداد اتساعاً وهو يقول بصوت فيه إصرار:

لن أسمح له بذلك سأتخلص منه، ومهمة تصفيته عليك، لا أريد أن يشاركك فيها أحداً سوى مرتضى وشرف، وتكون بمنتهى السرية، إن قتلكم لهذا الداعشي الناصبي، هو أعظم واجب تقدمونه لجماعتنا.

-سوف ننفذ هذا الأمر في أقرب وقت.

-اذهب وتدارس الأمر مع مرتضى وشـرف، ولا أراكم إلا بعد تنفيذ المهمة.

كانت ذكرى تترد عليَّ في مسـتوصـفي الخاص لمناقشـة بعض القضـايا وتسـاعد سـلمى في بعض شـؤون المختبر، وفي إحدى الليالي، وهي بالقرب من المسـتوصـف لمحة أبي حرب وإخوتها مرتضى وشـرف، وقد توقفت سـيارتهم أمام المستوصف، فاتخذت مكاناً لمراقبتهم، فاسـتنتجت بذكائها وحدسـها الثاقب، أنهم في مهمة استطلاعية يريدون من ورائها الإضـرار بضـياء، فقد كانت تتوقع ذلك، تعاملت مع الأمر بجدية، وكلفت أختها رشـا أن تراقب تحركاتهم بدقة، وتبلغها بتلك التحركات أولاً بأول، فذكرى قد اعتزلت بيت أبيها من بعد زواجه بالفتاة الجديدة، وهي باقية مع أمها في بيت آخر.

قامت رشـا بمهمتها على أكمل وجه، وبذكاء خارق اسـتمعت إلى بعض أحاديثهم مع بعضـهم بعضـاً، وتأكد لها أنهم يريدون اسـتهداف ضـياء، لقد شـكلتا الأختين ذكرى ورشـا ثنائياً اسـتخباراتياً على درجة عالية من الاحترافية، ومن طراز جيد، فللنسـاء قدرة قد لا يمتلكها الرجال في اسـتخراج المعلومات ذات الطابع الخطير، كانت رشا تُطلع ذكرى بتحركاتهم اولاً بأول.

جاءت ذكرى والتقت بي على انفراد، وحدثتني بكل ما يخططون له، وطلبت مني أن أخرج من صنعاء بعض الوقت قائلةً:

-لا بد أن تأخذ حذرك وتأخذ بكل الاحتياطات حفاظاً على سلامتك.

كانت تخنقها العبرة وهي تحدثني، ودموعها تسيل على خديها المتوردين، فقلت لها:

-نحن يا ذكرى أصحاب قضية عادلة، قضيتنا تحتاج منا أن نواجه بكل شجاعة وإصرار، لا ينبغي أن نختفي أو نتوارى عن الميدان مهما كان الثمن، ليست دماءنا أغلى من دماء أولئك القادة، والافراد الذين قدموا دماءهم وارواحهم رخيصة في سبيل عزة الوطن، إن قضيتنا العادلة ستظل كلمات تُصب في قوالب جامدة لا حياة فيها، إن لم نذكيها ونسقيها بدمائنا، لتدب فيها الحياة في الواقع، وفي قلوب الناس.

كانت جالسة فوقفت بكل شموخ، وعيونها تفيض بدموع الإصرار وهي تقول:

إذاً سنواجه كل الاخطار جنباً إلى جنب، لن أدعك وحدك، روحي فداءً لك، ولقضيتنا العدالة.

جاء موعد التنفيذ بحسب بلاغ رشاء، سيتم عند خروجي من باب المستوصف الساعة العاشرة مساءً، خرجنا من المستوصف الساعة التاسعة، وطلبت من ذكرى أن تركب السيارة، لكنها أصرت على أن نذهب، وهي ستدبر أمرها، فهيَ تريد أن تذهب إلى بيت أبيها كما ذكرت لي، ودعتها على أمل أن نلتقي غداً، أوهمتني أنها ذاهبة إلى بيت أبيها، لكنها لم تذهب، وعادت إلى الصيدلية وبقت بداخلها، ماهي إلا دقائق حتى وصل المجرمون بسيارتهم إلى المكان لتنفيذ جريمتهم، وصلوا وهم ملثمون، كي لا يعرفهم أحد، واتخذوا المكان المناسب، ليستعدوا لتنفيذ الجريمة، تحركت ذكرى باتجاههم في شجاعة وثبات، ظنوا أنها لن تتعرف عليهم فهم ملثمون، وزادوا على ذلك أن اغلقوا نوافذ السيارة، وصلت ذكرى إلى جوار سيارتهم وأخذت تضرب زجاج نوافذها قائلةً:

-أيها السفلة، ماذا تعملون هنا؟ وماذا تريدون؟ تريدون قتل الدكتور ضياء!!

هل تعتقدون أننا لا نعلم بتحركاتكم؟ وماذا تنوون فعله؟

مؤامرتكم الخسيسة انكشفت، وستحاسبون عليها قريباً، فأيامكم أيها السفلة، باتت معدودة.

اِصفرت وجوههم، وتلعثمت السنتهم، ولم ينطقوا ببنت شفه،

إلا كلمة واحدة:

-هذه انتِ يا ذكرى؟ ومن اخبرك؟

ثم لم يلبثوا، أن فروا بسيارتهم من المكان باتجاه البيت، ليتعرضوا للإهانات والضرب من أبي هاشم.

عبرت عن شكري الجزيل لذكرى ورشا فقلت:

-أنا مدين لكما بحياتي.، شكراً لكما، ذكرى يا عزيزتي الغالية انتِ وفية وشجاعة، لن أنسى لكِ هذه التضحية من أجلي، روحي فداءً لكِ.

-روحي أنا فداءً لك، اطمأن لن يصلوا اليك، وسترى...كيف ستكون عاقبتهم وخيمة أولئك السفلة، هم ومن يقف وراءهم من جماعتهم الإرهابية.

إنها سنوات طويلة لا يمكن أن تمحى من ذاكرة الأجيال، ولا تستطيع صفحات التاريخ أن تغفلها، الدم المراق ظلماً وغدراً في كل مكان يظل يصرخ دائما، وصراخه يورث القلق والأرق ويحرض على الثأر والتدمير، ولا يكبحه كابح أو يخرسه توسل، لقد أذاقوا البلاد الأمرين، والظلم لا ينجب إلا الكراهية، الشعب يتململ ويئن، نسبة الفقر في ارتفاع مخيف ومعدلات البطالة في تزايد مستمر، الشعب يبحث عن طعام، لا مرتبات، لا غاز، لا بترول، الحياة صارت جحيما، الأمراض تفتك بالناس كأنما سكنت المدينة أرواح شريرة، والجماعة كالكلاب المسعورة تبسط على الأراضي بصورة غير مسبوقة، حتى احواش المساجد لم تسلم من النهب، هذه اللصوصية تسببت في انقسامات وخلافات داخل الجماعة غير مسبوقة، شخصيات إيرانية تحاول لملمة الصف، ويكاد زعيم الجماعة أن يفقد سيطرته على جماعته، واستمرار اختبائه يهز ثقة الجماعة، الوضع قابل للانفجار والثورة.

نشاطنا مستمر على كل المستويات وفي كل القطاعات، تواصلنا

مستمر بمشائخ القبائل ليصنعوا موقفا يسجله التاريخ، ويكفروا عن مخازهم، وجهودنا في هذا الباب مثمرة.

دخلت السجن لكن لم يراودني أدنى ندم أو خوف بالنسبة لما كنت أؤمن به، دخلت السجن شامخ الرأس، لا أكترث لما قد أتعرض له من آلام، الشيء الوحيد الذي يضايقني هو أنني لم أستطع أن أقوم بدور فعال إزاء ما تعاني منه البلاد من بطش وظلم الحوثيين.

كان السجن يغص بعدد كبير من الرجال أغلبهم من الضباط والعسكر وعلماء الدين وحفظة القرآن وإعلاميين وكتاب وأسرى حرب جيء بهم من جبهات القتال.

يبدو أن إي محنة يكون وقودها دائماً من صنفين رئيسيين هما الشباب وحملة الأقلام، الشباب بصفائهم، وحماسهم، ونقائهم العقائدي، والكتاب بما يحررون من آراء وبما يجنحون اليه من نقد ومعارضة ولا يكاد الكاتب أو الخطيب والعالم يفلت من قبضة الطغيان إلا إذا باع نفسه للطاغية وجعل من فكره وأدبه ادوات مسخرة له، لكنك تجد في نفسك شيء من السعادة حين تجد نفسك بين هؤلاء الرجال، الذي جميعهم يلتقون تحت هدف واحد هو

تخليص الشعب من هذه الجماعة الكهنوتية المارقة لينعم الناس بعد ذلك بالعدالة والحرية والنهوض تحت مظلة الدولة التي ينهض بها الجميع ويشترك فيها الجميع.

ولذا كان السجن مجالاً لإثراء النقاشات حول أوضاع الوطن السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وعن الأعداء الذين يتربصون به الدوائر.

كما وجدت أثناء سجني فرصة طيبة للتزود بالعبادات والمزيد من القراءة والاطلاع رغم الصعوبة الشديدة في إدخال الكتب.

يسمح لبعضنا أحيانا بالزيارة ولم يكن يهمنا في مثل هذه الزيارات سوى سماع أخبار الجبهات والأخبار السياسية، وعقب إي زيارة لأخ من الأخوة المحبوسين كنا نحيط به ونتجمهر ونسأله عن المزيد من الأنباء، ويخيل الي في كثير من الأحيان أن البلاد على وشك أن تندلع ثورة مباغتة تقضي على المجرمين، ولكن الأيام تمر والصبر يطول، ونحن خلف الأسوار نتململ.

مضت ثلاثة أشهر لم يزرني فيها أحد، ولم يسمح لأحد بالزيارة، كانت أياماً من أقسى أيام حياتي، كلها تحقيقات وتعذيب جسدي ونفسي، لم يستطيعوا خلالها أن ينالوا من عزيمتي، بينت لهم أنني انتمي لهذا الوطن وأنني لست مع هذه الجماعة في توجهاتها

وطريقتها في الحكم، وما أقوم به هو بدافع شخصي- وما يمليه عليَّ ضميري تجاه ديني وبلدي.

كان أول زائر يزورني هو خالي محمود والمحامي نصـــــر، ثم زارتني أمي وسلمى

وفي اليوم الثالث زارتني ذكرى.

كنا نرى شباباً يتم تعذيبهم بطريقة بشعة وجنونية، لقد قابلوا ذلك التعذيب بصبر وثبات عجيب، كنا نشاهدهم معلقين بالحبال والزبانية تجلدهم بلا رحمة وهذا كان إحدى العذابات النفسية التي كنا نتلقاها.

استطعنا أن نقنع أحد حراس السجن من أبناء القبائل بالتعاون معنا، فكنت ارسله إلى إحدى الصيدليات المعـــروفة ويجلب لنا بطريقة ســرية ما نحتاجه لمعالجة جراحهم كان يتعاون معنا بشكل جيد.

كان الشباب يرفعون أصواتهم بالتكبير والشعارات الوطنية، بمعنويات مرتفعة ويخاطبون قيادة الســجن ســنقاتلكم حتى آخر نفس، واهمون إن ظننتم أن رأية الجمهورية سوف تسقط أو نستسلم.

جاء مرة أحد علماء الجماعة ليلقي محاضـرة عن الولاية وأفضلية السلالة وأنهم اعلام الهدى وأنهم في معـركة يواجهون فيها أمريكا وإسـرائيل، فما كان من أحد الاسـرى بعد أن أنهى محاضـرته إلا أن عقب عليه قائلا: هذا كلامك احتفظ به لنفسـك ولجماعتك، أما نحن فنعلم من أنتم وما حقيقتكم، سـنخرج من هنا لنقاتلكم من جديد وسوف نقاتلكم حتى نطهر البلاد منكم ومن أفكاركم.

خالي والمحامي نصـر كانا يزورانني كل شهر يطلعانني على ما يدور في الواقع السـياسـي والعسـكري، ومتابعتهم لبعض الوجاهات الاجتماعية بغرض التواصـل بقيادات حوثية أملاً في إطلاقي، ويبشـرونني أن الشعب بدأ يشب عن الطوق وأن الخوف من الحوثيين قد كسـر، ثم زارتني أمي وأختي سلمى، شاهدتني أمي وبكت بسبب التغير في ملامحي وشحوب وجهي ورأسـي المحلوق.

ذكرى كانت تزورني كل أسـبوعين وطلبت من الحراسـة أن تقابلني في غرفة الزيارة، حيث لديها تصريح بذلك.

-اهلاً ذكرى.

-اهلاً ضياء يحز في نفسي ما يحدث لك في السجن.

-لا تقلقي، كيف حالك أنتِ وكيف رشا؟

-نحن بخير لقد انفصلنا عن والدي وأصبحنا في بيت مستقل نحن وأمي منذ أن زفت زوجته الجديدة إليه، وبيتنا الجديد قريب من العمارة التي تسكن أمك وسلمى فيها، نقضي أوقاتنا في الغالب جميعاً، لا تقلق بشأننا سنتقاسم اللقمة سوياً، ما ينقصنا هو وجودك نشتاق إليك كثيراً، لكن لا حيلة لنا إلا الصبر.

-وأنا اشتاق لكم كذلك، لكن النصر قريب إن شاء الله ولن نفترق بعد ذلك.

أنتِ اليوم واحدة منا، ولك في قلبي نفس المكانة التي كانت لأمل من قبل، وهي تمسح دموعها التي تسيل على خديها الجميلين.

-أنا سعيدة بما تقول لكنني سأظل قلقة عليك.

-الخير دائما فيما يختاره الله، قد يكون بقائي مع هؤلاء الشباب الذين هم بالمئات فيه خير فهم يحتاجون إلى الوعي، وتزويدهم بثقافة الثورة وغرس المبادئ الوطنية وصقل قدراتهم القيادية ليتحملوا المسؤولية في قيادة البلد.

-صاح الحارس أن موعد الزيارة قد انتهى.

سوف أشتاق لك لا تتأخري عن زيارتك القادمة.

-لن اتأخر فأنا أشتاق لرؤيتك كثيراً.

❖ ❖ ❖

وصلت أعداد جديدة من الشباب المحتجين إلى المعتقلات، إنهم بالمئات كما نسمع، الكثير منهم لا ينتمون لأحزاب سياسية بل مستقلون، وهذا مؤشر أن الفئة الصامتة أصبح لها صوت داخل الاحتجاجات المتزايدة، أحدهم يقول للسجانين إن سجونكم هذه لن تتسع، هل تستطيعون أن تبنوا سجوناً لتتسع لكل الشعب؟ الشعب سوف يثور ضدكم ويذهب بكم إلى الجحيم.

وآخر يخاطب زملاءه وهم بالعشرات في العنبر الجديد ويقول:

لقد زاد الظلم والبطش وزادت الجبايات تحت أسماء كثيرة لإحياء مناسباتهم المذهبية، لم يعد يقتنعون بالخمس والضرائب والزكاة بل يريدون تحويل البلاد إلى إقطاعية كبيرة لهم، ونحن نعمل لحسابهم بالسخري.

الناس يأكلون من براميل القمامة، الأسر تبيت في بيوتها جائعة لم يعد الكثير يمتلك شيء باعوا كل مدخراتهم، الشركات توقفت، رأس المال الوطني فر خارج البلاد، هذه هي الإمامة بذاتها.

الشعب الذي يئن سينفجر يوماً، وأنين الشعب بلغ منتهاه، لم

يعد هناك شـــــيء يخاف عليه، الطلاب يتســاقطون من الجوع في الشــوارع، والحوثيون ينهبون المعونـات لمقـاتليهم، احتجـاجـات صـغيرة في الحارات سـتتنامى وتتحول إلى غضـب جماهيري في كل مكـان، الكثير لم يعـد يخـاف من بطش الحوثيين ولماذا يخـاف؟ وهو يرى صغاره يتضاغون من الجوع.

الشـعب ســـــيثور لكنه يحتاج لقيادة، غياب القيادة يتسـبب في ضـــياع الفرصة، لكن من يدري فقد تظهر وتتخلق قيادة من قلب المعاناة ومن أوســاط الكادحين، ســوف تظهر طليعة من الشــباب والشابات الصادقين والشارع كفيل بإظهارها.

يقيننا أن ليل الظالمين إلى زوال وأن فجر الانعتاق والحرية قادم لا محالة، هذا هو الشعب اليمني نعـرفه جيداً ونعـرف طباعه، يصبر ثم يصبر لكنه حين يغضب لا تستطيع إي قوة أن توقفه.

ســـــيصـنع الموقف الفاصـل ذات يوم، ولا شـك أن هذا اليوم قريب.

إني أرى في اعينهم شــرر الثورة وعنفوانها، وأرى في شخصيتهم الزبيري والنعمان وعلي عبـد المغني وجزيلان ولبوزة من جـديـد، أرى الماضــي يعانق الحاضــر أرى فيهم شجاعة القشــيبي، وإقدام الشدادي، وإصـرار الوائلي، وصبر ودهاء أبا منير، وحنكة شعلان.

أصواتهم تملأ المكان: (بالروح بالدم نفديك يا يمن).

لقد أحيوا روح الثورة في قلوب جميع المسجونين، أحدهم يخاطب السجانين بقوله:

واهمون إن كنتم ستسكتون أصواتنا أو تجهضون حركتنا، لن نستسلم ولن تسقط راية الثورة.

حدثت على إثر هذه الهتافات انتفاضة داخل السجن، وأحداث شغب وضرب لحراسة السجن والقائمين عليه، قام المسلحون بإطلاق النار وحدثت إصابات واستشهاد أثنين من الشباب الثائر، خرج الوضع عن السيطرة والاحتجاجات في الخارج تتعاظم.

زارني خالي محمود واختي سلمى، لقد حملوا في زيارتهم مفاجأة غير متوقعة، مقتل القيادي هاشم المراني وإصابة أبي حرب إصابة بليغة أفقدته الحركة، بعد أن حاولوا البسط على أرضية في منطقة تقع شرق صنعاء، إذ قاموا بقتل صاحبها فتجمع أصحاب المنطقة وقتلوا هاشم المراني واصابوا ابن أخيه، والمنطقة تم محاصرتها بالمسلحين، لعل هذه الحادثة هي سبب تأخر ذكرى عن الزيارة منذ شهر، طلبت من سلمى أن تبلغ ذكرى ورشا تعزيتي في وفاة والدهما، سبحان الله كيف يقتص الله من الظالمين وينتصف للمظلومين، اللهم لا شماتة.

كما أخبرني خالي عن تحركات يقوم بها المبعوث الأممي وفريقه، وسفيري أمريكا وبريطانيا يسعون جميعا لتهدئة الأوضاع، وإلقاء الوعود لامتصاص غضب الجماهير الثائرة.

هم دائما يسعون لإنقاذ الحوثيين من غضب الشعب كما أنقذوهم من قبل في حروب صعدة، فالجماعة هي أداتهم في اليمن وذراعهم الذي صنعوه في إطار التحالف الشيعي الصليبي الصهيوني، هذا الذراع هو نفسه الموجود في العراق وفي سوريا وفي لبنان، اوجدوه لزعزعة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الوطن العربي، والهدف الأساسي من وراء هذا كله هو محاربة الإسلام ونشر التشيع وخدمة إسرائيل، لكن ثورات الشعوب هي التي ستنتصر في النهاية، وسوف تسقط كل المشاريع الدخيلة، لقد أستطاع هذا التحالف الخفي أن يمتص غضب الكثير من الجماهير فتم فتح مطار صنعاء للمسافرين وتم فتح ميناء الحديدة، وقدموا وعودا بصرف رواتب الموظفين واطلقوا اعداداً من الاسرى والمعتقلين من الجانبين، وشائعات تتردد هنا وهناك أن جماعة الحوثي سوف تجنح للسلام.

لكنني على يقين أن هذا لا يعدو كونه تخديراً وامتصاصاً لغضب الشعب، وأن الشعب سوف يصحو على كذبة أُخرى من اكاذيبهم،

سرعان ما تتبدد ويعود لانتفاضته من جديد.

واهم ومجنون من يعتقد أن هذه الجماعة الإرهابية المتخلفة تؤمن بالسلام أو الحوار أو التعايش، كيف يؤمن بهذه القيم من يعتقد أنه مكلف من الله ليحكم البشر، وأن الله خلقه في هذه الأرض ليكون سيداً وممثلاً له، وأن له خصائص تفوق خصائص البشر، وما بقية الناس الا جزء من هذه المخلوقات المسخرة لخدمته وطاعته.

❖ ❖ ❖

وصَلت ذكرى واصرت كعادتها أن تراني في غرفة الزيارة، لكنها اليوم ليست كأي زيارة، لقد جاءت وفي يدها أمر إطلاقي من السجن والافراج عني، لم أدرِ هل افرح بقرار الإطلاق أم اعزيها في أبيها، عزيتها في وفاة ابيها، وقالت:

-الطمع يا دكتور عاقبته وخيمة، لكن يرحمه الله، لقد تأخرت عنك بسبب متابعتي لأمر الافراج عنك، فأنا اعلم أن ابي، وأبا حرب هم من كانوا وراء اعتقالك، وسبب تأخري أيضا ما احدثه اخوتي مرتضى- وشرف من مشاكل فيما بينهما بسبب تركِة أبي واموالـه، فقد اختلفوا عليها في اليوم الثاني لمقتله، ويريدون أن يستحوذوا على كل شيء ولا يعطون لنا ولأخوتهم الصغار أبناء خالتي شيء مما تركه والدي، لكنني اعلم أن جميع ما ترك جاء من

الحرام فلا نريد منه شيء، فالحرام سينفد وأهله، ما تركه جدي في صعدة يكفي وسوف نقوم بتوكيل خال اختي امل لمتابعته، المهم هو أن تخرج الان لنفرح بخروجك، وابشـــــرك أن خلافات بين الأسر السلالية القادمة من صعدة، والأسر السلالية من صنعاء وغيرها تعصف بالجماعة والاغتيالات بينهم والتصفيات لم تعد تخفى على أحد إنهم إلى زوال حتما.

-لا أدرى كيف اقدم لك الشكر على جهدك النبيل، وعلى وفائك؟

-لا داعي لهذا أنت من فتح عيني لاتباع الحق، لا أستطيع أن أفي ببعض ما هو لك أيها الغالي.

-ذكرى، ها هو حبنا ينتصر على العنصرية، وغداً سيكون موعد عقد زواجنا، وعند خروجي، سوف اتواصل مع خالك ليحضر العقد.

-وهو كذلك أيها الحبيب، وعليك أن تعلم أنه لم يعد لي ولإخوتي الصغار بعد الله إلا أنت، ستكون أنت لنا الأب والأخ والزوج.

- لا تقلقي سنكون اهل وأسرة واحدة

-ضـــياء وذكرى رمز لوحدة الشعب الذي تجاوز العنصـــرية والمذهبية، وجمع بينهما حب الله واليمن الواحد.

الدعوة والحب الطاهر، والولاء لليمن، طريق السائرين إلى الله، المنتصرين على العنصرية وخرافة الاستعلاء.

-ابلغي رشـــا، أن بطلها قادم من مأرب، وأن يوم لقائهما قد حان.

-على كهنة السلالة، وكل الطارئين على هذه الأرض، أن يعلموا أن عاقبة الظلم وخيمة، وأن ســـنة الله جارية في الظالمين، وأنهم إلى زوال، وأن ميزان العدالة سيظل قائماً ما بقي أهل الحق.

-(والله اكبر ولله الحمد، ولا نامت أعين الجبناء).

تمت بحمد الله

رواية

المآذن الباكية

وثيقة تاريخية لأحداث تعبر عن حياة الانسان اليمني، ما بعد ٢٠١٤ بعد دخول المليشيات الحوثية صنعاء، جسدت أحداثها الواقعية شخصيات وهمية تحاكي الواقع المرير ، الذي عاشه اليمنيون في مناطق الاحتلال الحوثي ،التي تدور فيها احداث الرواية.

مجرد قراءة للرواية، كوسيلة لتوعية القارئ بهذه الجماعة وهذه الحقبة الزمنية ، وسيلة مختصرة وسريعة وناجحة ، لاسيما ونحن في عصر السرعة.

دخول مباشر وسريع لاحداث الرواية وسرد احداثها المثيرة وعرض مشاهدها ،التي تحاكي الواقع بامتياز، لاشك أن لكاتبها خبرة ودراية سياسية بالأحداث ،وأديب متميز في واقع صعب ،استطاع عبر شخصيات الرواية أن يكشف أخلاق وزيف شعارات وادعاء وتدين هذه الجماعة باسلوب مشوق يمسك القارىء من البداية حتى النهاية.

كما بين علاقاتها المريبة بقوى الاستكبار العالمي والمحلي بإشارات وعبارات صريحة هنا وهناك.

وعرض توق الشعب للحرية عبر رموزها الذين ما زالوا يخوضون معركة العزة والكرامة والحرية حتى تحرير الوطن.

كما استنهض قيم وشموخ وإباء القبيلة اليمنية الرافضة للخنوع على مر التاريخ.

وكما ادخلنا في جو وأحداث الرواية سريعا ، كذلك وقف عن سرد وعرض مشاهد روايته فجأة ، وترك الابواب مفتوحة لإكمال الرواية، فقد بدأت شرارة الثورة وتنامى الوعي وسقطت الاقنعة وذهب الزبد جفاء وبقى ما ينفع الناس، وستبقى محكمة الواقع والتاريخ التي لايستطيع ايا كان أن يحرفها عن مسارها الالهي.

وكأن الرواية ستنتهي في الواقع وتكون أجمل كما رسمها الكاتب.

الشاعر والناقد: عبد الخالق قاسم

مؤسسة القلم للفكر والثقافة
Al-Qalam Foundation for Thought & Culture